اليمنية

العمارة الحجرية في ريمة..

محمية عُتُمة..
الطبيعة التي فتنت التاريخ

جابية شبوة..
مَروِيّة العمارة الطينية في اليمن

نسختك المجانية

حـــول أمـــوالك بكل سهولة وسرعة وأمان

من اليمن الى أكثر من 80 بنكاً في الصين عـبر البنـك التجاري اليمني

YCB

البنك التجاري اليمني
Yemen Commercial Bank

البنك الذي تثق به
The Bank You Trust

ycbankye

تجاري Pay

خدمة تحويلات نقديه
مقدمة من البنك التجاري اليمني

YCB

البنك التجاري اليمني
Yemen Commercial Bank

البنك الذي تثق به
The Bank You Trust

ycbankye

افتح حسابك البنكي

مـــن أي مكـــان

بنك التضامن
Tadhamon
Bank

حمّل التطبيق الآن
App Store
Google Play

محفظتي
Mahfathati
تغنيك عن الكاش

بحلتها الجديدة

المحفظة الإلكترونية
من بنك التضامن

بنك التضامن
Tadhamon Bank

تضامن تواصل
781 788 888

8001010
تضامن كول سنتر

Yemenia اليمنية

Yemen Airways الخطوط الجوية اليمنية

الضيافة العربية الأصيلة

Genuine Arabian Hospitality

www.yemenia.com

قصور عدن
Aden Palaces

فيلد اللؤلؤ

- دوريـــن ومـلحـق
- 6 غـرف نـــوم
- 6 حـــمـــامـات

سعر الفيلد تشطيب كامل

295.000$

بدفعة مقدمة 5% وأقساط لمدة سنتين

لمزيد من التفاصيل

@AdenPalaces

www.adenpalaces.com

حديقة

مطبخ

ديوان رجال

تواصل معنا

779966404 - 779966414 - 02 368080

موقع المدينة: عدن - البريقة - مقابل ساحل خليج عدن - شمال مخطط جمعية المصافي السكني

لانبرول
Lanprol
Lansoprazol

الأفضل لعلاج
قرحة المعدة
والأثني عشر
وفرط الحموضة

unicef
مزود معتمد لدى
منظمة اليونيسف

Shiba Pharma
High Quality Pharmaceuticals You Can Trust

سيبا فارما
أدوية ذات جودة عالية يمكنك الوثوق بها

ديكلوسان فاست® ٥٠ ملجم
Diclofenac Potassium

Fast Action
5 min
مفعول سريع

خلال
خمس دقائق

unicef
مزود معتمد لدى
منظمة اليونيسف

Shiba Pharma
High Quality Pharmaceuticals You Can Trust

سيبا فارما
أدوية ذات جودة عالية يمكنك الوثوق بها

مركز الدكتور
محمد الشرجبي

للتجميل وزراعة الشعر

خدماتنا المتميزة

- جراحة وتجميل الانف والشفتين
- زراعة الشعر بتقنيات حديثة
- علاج التشدي عند الرجال
- نحت الجسم وشفط الدهون
- حقن الدهون وتجميل الوجة
- شد الوجة
- ازالة الندبات
- تصغير الجبهه وشد الجبين
- علاج السمنة وشفط الدهون
- إزالة الوسادة الخدية
- رفع وشد الحواجب

MPSHC

- إزالة الهالات السوداء تحت العينين
- عمل غمازات الخدود
- حقن البلازما
- حقن البوتكس والفيلر
- علاج الدقن المزدوج
- تقنية تكساس ونفرتيتي
- علاج اثار حب الشباب والنمش والكلف
- شد ترهلات البطن والذراعين والفخذين
- علاج التشوهات الخلقية واثار الحروق والجروح
- علاج نحافة الوجة واليدين والارداف والساقين
- تكبير وتصغير الثدي وشد الترهلات
- شد الجفون وازالة التورمات تحت العيون

لتبدو أجمل

للحجز والاستفسار يمكنكم التواصل معنا

العنوان: اليمن - صنعاء - شارع الزبيري - أمام مستشفى الجمهوري - برج الأطباء - الطابق الثاني

موبايل: 777421977 - 777999060

www.mpshc.com

api.whatsapp.com/message/WXZAAE32X8PXE1

instagram.com/mpshc.ins

facebook.com/MPSHC

ye.linkedin.com/in/mpshc-ye

ROYAN
TRADE & INVESTMENT CO. LTD.
شركة رويان للتجارة والاستثمار المحدودة

مياه صنعاء

مياه شرب طبيعية نقية

ISO9001 CERTIFIED
ISO 22000:2018 FOOD SAFETY MANAGEMENT SYSTEM
GMP CERTIFIED
HACCP CERTIFIED FOOD SAFETY

1

أول مصنع مياه في اليمن
يحصل على شهادة
الجودة العالمية ISO
لنظام إدارة سلامة الغذاء
ISO 22000 : 2018

امسح الكود وحمل التطبيق

Download on the App Store

ANDROID APP ON Google play

الجمهورية اليمنية - صنعاء
Rep of Yemen - Sana'a
+967 -01/586111

إنماء العقارية

Enma Real Estate Developing Co. Ltd..

احجز شقتك الان

معاً نبني للمستقبل

+967 2 363636/7/8

info@enma.ey.com

+967 2 363639

www.enma.ye.com

enmadev

مدينة إنماء السكنية الحسوة

المستشفى الأوروبي الحديث
Modern European Hospital

عنايــة .. واهتمام
Care for All

جميع التخصصات
بأحدث التقنيات وأفضل الكفاءات

- صالات عمليات بأحدث الأجهزة عالمياً .
- مركز القلب والقسطرة القلبية .
- عناية مركزة بأفضل الكوادر .
- غرف رقود مجهزة بأحدث الخدمات .
- مختبرات بأعلى المواصفات .
- أجهزة أشعة متطورة .
- الطوارئ على مدار الساعة .
- كادر طبي مؤهل على أعلى مستوى .

صنعاء - شارع الستيــن الغربـي

www.mehyemen.com

mehospitalyemen mehyemen

577777

Yemenia
Yemen Airways
اليمنية
الخطوط الجوية اليمنية

المحتويات

العـــدد (59) ينايـــر - مـــارس 2025

رئيس التحرير:
آسيـــا يحيـــى خصـــروف

مدير التحرير:
محمد محمد إبراهيم

المراجع اللغوي:
عبدالمجيد التركي

الترجمـــة:
إيمان محمد عبدالله

تصويـــر:
عبدالرحمن الغابري
مصطفى عبدالمجيد
يوسف جبك
جمال شنيتر
محمد الوجيه

تصميم وإخراج:
فـؤاد ناجي المصباحي
00967 777 089 092

حسابات المجلة:
ماجد سعيد

رقابة وتفتيش المجلة:
محمـــد دلال

مدير تسويق المجلة :
نبيـل أحمـــد السامعي
موبايل: 030 300 775 00967
موبايل: 425 444 734 00967

عنـوان المجلة:
الإدارة العامة
للخطوط الجوية اليمنية
صنعاء - الجمهورية اليمنية
ص.ب: (1183)
هاتف: 710 250 671 009
magazine@yemenia.com
Site:www.yemenia.com

طباعـــة:
مطبعـــة النهضة
الأردن - عمان

تصدر المجلة عن
إدارة العلاقات العامة والإعلام
بشركة الخطوط الجوية اليمنية

جميع المقالات الواردة في
مجلة اليمنية تعبر عن آراء كتابها،
وليس عن رأي الشركة.

بـــلـــدة طـيـبـة 14
أجنـــدة المسافـــر 21
المشهـــد الطبيعي 32
بـيـتـنـا المشـتـرك 38
تـــكـــنـــونـــت 50
جـــــــذور 53
زوايـــــــــا 58
مـــســـافـــرات 66
تـــفـــاصـــيـــل 74
فـــن بـــصـــري 79
محـــاصـــيـــل 82
اطـــــــلال 86
ضـــــفـــاف 89
قـصـة مـسـافـر 94

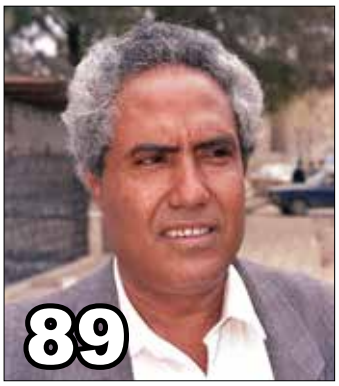

CARGO

شحنتك تصل كما يجب

Yemenia اليمنية
Yemen Airways الخطوط الجوية اليمنية
National Carrier الناقل الوطني
www.yemenia.com

أمان
AMAN
AIC
شركة أمان للتأمين
AMAN INSURANCE COMPANY

31 عاماً من الأمان
وتحمل المسؤولية

منافع تأمين السفر

1 تغطية المصاريف الطبية للحالات المفاجئة والطارئة

2 الإحالة الطبية وتحديد مواعيد الزيارة للطبيب

3 إعادة المستفيد إلى الوطن من مقره إلى المشفى جواً

4 الاستشارة الطبية عن بُعد

5 تغطية تكاليف طلب الأدوية الغير متوفرة محلياً

6 تحمل تكاليف إقامة المرافق أثناء خضوع المستفيد للعلاج

7 نقل الرسائل العاجلة والإسعافات الأولية

8 نقل المستفيد إلى أقرب مشفى بالإسعاف البري أو الجوي

9 فقدان الأمتعة

10 في حالة الوفاة، إعادة جثمان المستفيد مع المرافقين إلى الوطن

مع أمان أنت في أمان

الادارة العامة:
صنعاء - شارع الزبيري - برج أمان للتأمين
01 - 202022 | 01 - 202202

فرع الحديدة:
شارع صنعاء - عمارة السنيدار
03 - 201110 | 03 - 201107

فرع عدن:
كريتر - العقبة - مبنى بنك اليمن والكويت
02 - 267283 | 02 - 267284

فرع المكلا:
شارع البنوك - جوار بنك اليمن والكويت
05 - 350997 | 05 - 350629

فرع شارع تعز:
مبنى بنك اليمن والكويت
01 - 603551 | 01 - 624971

مكتب عدن:
إنماء - برج بنك اليمن والكويت
02 - 366877 | 02 - 366966

فرع تعز:
شارع جمال - جولة المسبخ
04 - 251454 | 04 - 259424

مكتب ذمار:
الشارع العام - جوار بنك اليمن والكويت
06 - 425567

COBUS

HF 802
HF 799

FE
الشركة اليمنية للخدمات الأرضية
YEMEN GROUND HANDLING COMPANY

جابية شبوة..

مَرويّة العمارة الطينية في اليمن

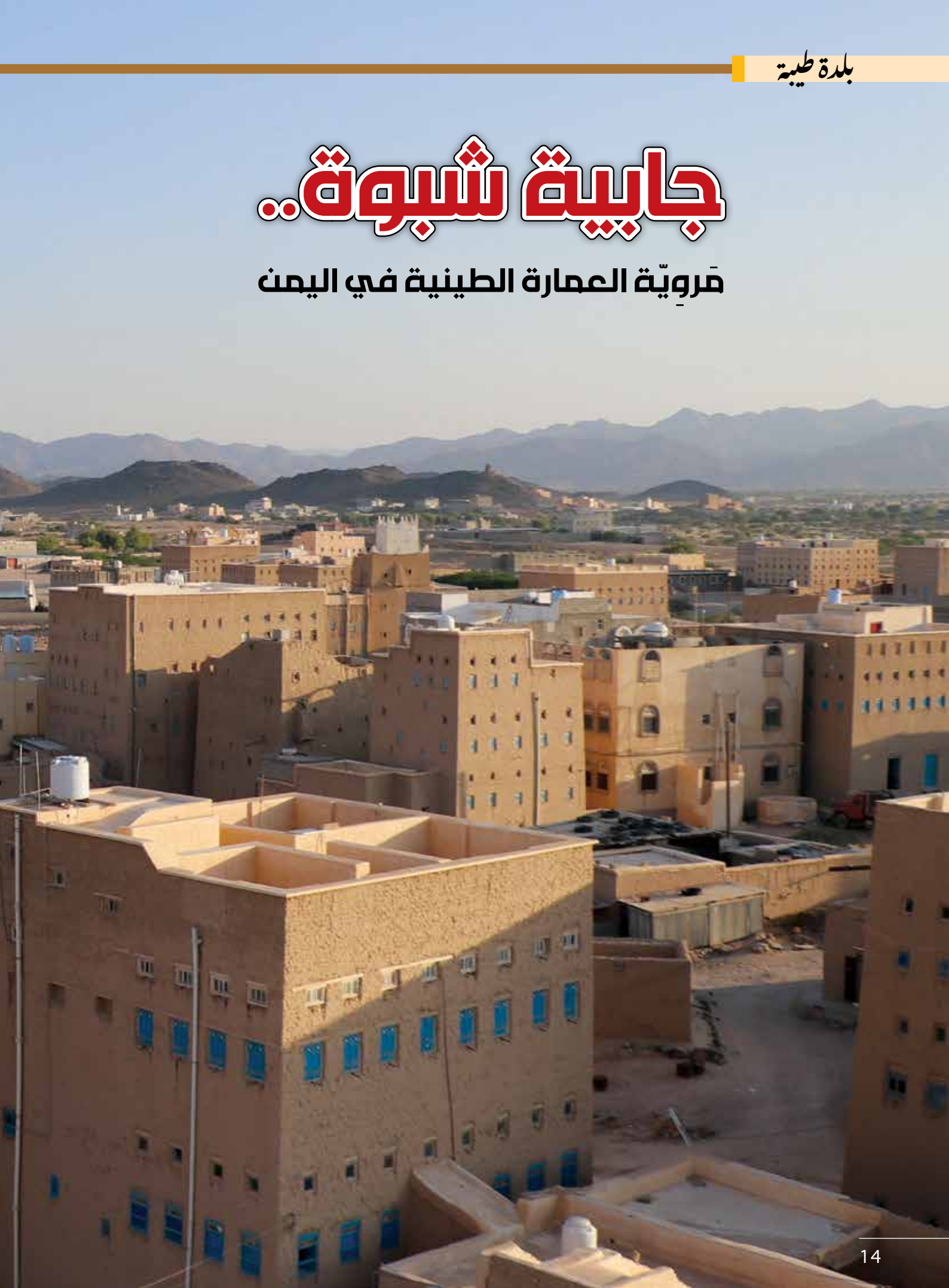

(خلوني أحرس في حصون «الجابية» القاع يرقص والسماء تضوي بنور).
هكذا يكثف الشاعر الشعبي المعروف محمد صالح باسردة، رحمه الله، حكاية الدهشة التي تملأ جنبات «الجابية» القرية الشبوانية، وغير البعيدة عن مدينة عتق عاصمة محافظة شبوة، شرقي اليمن، ليحيل الأنظار إلى أحد الكنوز الخفية في فضاء المنجز اليمني الحضاري المرتبط بفنون العمارة الطينية.
إنـــه يدعونا، بل يحرضنا على الارتحال في بهجة الأرض التي تتكـــئ عليها الحصون اللامع طينها نوراً ممتداً من غابر الأزمان، وغامراً بالســـطوع والحيوية والمُقاومَة للخفوت والانطفاء تحت ضغط عوامل التعرية وتحولات الزمن، فإلى تفاصيل قصة العمارة الطينية في جابية شبوة:

محمد صالح الجرادي
تصوير: جمال شنيتر

رغم مضي أكثر من ثلاثة قرون على بناء أبراجها وحصونها وقصورها ومساجدها الطينية، إلا أن «الجابية» لا تزال تحكي قصة مقاومتها للتدهور وعوامل التعرية، إذ يمكن للزائر ملاحظة أشكال التصميم المعماري الصامد والمتوهج بالجمال والحيوية والإبداع النابض الحي، ما يجعلها بحق أيقونة تراثية معمارية جديرة بالاحتفاء وطنياً وعالمياً، بمقدار حظوة مدن «شبام»، و«صنعاء القديمة»، و«زبيد» من مظاهر الاحتفاء مبكراً.

ورد ذكر الجابية في نقش النصر للملك السبئي «كرب ايل وتر»، عندما اجتاح مملكة أوسان وبعض أودية المشرق، بحسب مصادر تاريخية، حيث أفادت أنه جاء على ذكرها كواحدة من المناطق التي ذُكرت في القرن السابع قبل الميلاد. في حين لفت الباحث ناصر حبتور إلى أن الجابية كانت من المحطات التجارية التي تمر بها القوافل بعد خروجها من حبان والضلعة، حيث تعتبر «منطقة عبور للقوافل التجارية القادمة من ميناء قنا باتجاه حواضر المفازة والممالك القديمة». منوهاً بحركة تجارية مزدهرة عاشتها مملكة حضرموت «ما بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الأول قبل الميلاد، وأيضاً في الفترة من القرن الأول الميلادي وحتى القرن الثالث الميلادي، وكانت الجابية جزءاً من تلك المملكة القديمة». لكن باحثين آثاريين قالوا إنهم لم يجدوا أياً من آثار الجابية القديمة المنتمية لتاريخ ما قبل الميلاد، وربما يعود ذلك وفقاً للباحث في التاريخ محمد السدلة، إلى «البناء الحديث للمنطقة فوق المآثر القديمة التي قد تكون طُمست نتيجة لما أقيم على أنقاضها».

وفي مراحل التاريخ الحديث والمعاصر «كانت الجابية محل اهتمام ودراسة منذُ الرحالة الغربيين الذين زاروها في القرن العشرين»، إذ مر بها الرحالة البريطاني الشهير ساري هانت جون فيلبي في العام 1936م، وقال عنها: «أما السوق أو قرية الجابية، فتقع على مسافة خمسة أميال من منقطة كرش التي تقع على الجانب الأقرب من مرتفعات القليعة». وفي العام 1938م وصلها الضابط البريطاني هاملتون قادماً من مدينة شبوة، وأبهره عمرانها وطريقة البناء للبيوت، وذكر أن بها ما يقارب من مائة بيت معظمها من ثلاثة طوابق، وتحميها خمسة حصون طويلة مبنية من لِبْن الطين، كما ذكر أن بها بئراً للمياه.

حصون وأبراج

أكثر ما تشتهر به «الجابية» هو حصونها التاريخية المزخرفة ذات المعمار الهندسي الفريد والعتيق.. والتي ترتبط تسمياتها بعدد من الأسر في المنطقة، فهناك حصن آل عبدالله، وحصن آل سنان، وحصن آل برمان، و«حصن آل حمد، وحصن آل محمد، وحصن حبيش، وغيرها». وتعود ملكيتها في الأساس الى قبيلة «آل العودة» المنحدرة من قبيلة «آل خليفة».

ويظهر جلياً الحرص المبذول من قبل السكان على ترميم هذه الحصون وغيرها من الأبراج والمنازل بين فترة زمنية وأخرى، حتى لا يطالها الاندثار، لتظل خالدة على مر الأزمان. فهذه الحصون والأبراج تشكّل ذاكرة المكان والإنسان في الجابية، إذ من غير الممكن الحديث عنها دون الاستشهاد بحصونها وأبراجها التاريخية المتفردة في طابعها المعماري الطيني ونقوشها وزخارفها المعقدة المدهشة. فضلاً عن ذلك ظلت حصون الجابية ولا تزال موضعاً للفخر والتغني بها، بالنسبة للكثير من الشعراء الشعبيين الرواد والشباب في المنطقة وفي عموم محافظة شبوة، من بينهم مثالاً لا حصراً، الشاعر «صالح عبدالله الغنجري» الذي تغنى بحصون الجابية قائلاً:

حصون الجابية أحسن من البندر
وأحسن من بلاد الهند واليونان
حصون الجابية ذي في الدجى تقهر

وتعجبني مصانعها مع البنيان.

ويقول الشاعر عقيل برمان ممتدحاً:

حصون الجابية تعجب

ويعجب لبنها والعود

كما يقول شاعر آخر، متفاخراً:

حيا بكم في حصون الجابية

واسلاب زينة ذي يشلوها الرماة

أسلاب تسعفنا ونعرف قدرها

عادة لنا نكسر بها روس الطغاة

ولعل أهم ما تتميز به هذه الحصون، هو ذلك القدر الباذخ من تزيينها من الداخل بالنقوش والزخارف المتنوعة والجميلة التي يسلب تصميمها الألباب، بالإضافة إلى نقش تاريخ بناء كل حصن على واجهة الباب، مترافقاً مع نحت آيات قرآنية مثل قوله تعالى: «لئن شكرتم لأزيدنكم».

ويمكن ملاحظة أن جميع الحصون تشترك في تخصيص غرفة تتواجد في الطابق الأخير من كل حصن تسمى (السنوية)، وعلى أسطحها «مواشق» من جميع الجهات، والمواشق هي عبارة عن فتحات صغيرة تتسع لفوهة بندقية، حيث بدأ الأجداد في استخدامها منذ العام 1900م لمهمات قنص جنود الاحتلال البريطاني.

تقنيات متوارثة

تتميز العمارة الطينية في الجابية بتقنيات بناء متوارثة عبر الأجيال، وتعتمد بشكل أساسي على المواد الطبيعية المتوفرة محلياً. وتتساوى استخداماتها في بناء القصور، أو المساجد، أو البيوت. وتتمثل التقنيات في: «تحضير الطين، وتشكيل الطوب اللَّبْن، وبناء الجدران، والأسقف، والزخارف». ففي مرحلة تحضير الطين يتم استخراجه من التربة المحلية، ثم تتم تنقيته من الشوائب والحجارة. بعد ذلك يتم خلطه بالماء والقشّ أو الألياف النباتية لزيادة متانته وقدرته على التماسك. تالياً وبعد تحضير الخليط يتم تشكيله على هيئة طوب مستطيل الشكل، ثم يُترك ليجف في الشمس، وهذا يعطيه مزية الخفة والقدرة على العزل الحراري، لتبدأ مرحلة بناء الجدران بطريقة متسلسلة، حيث توضع طبقات من الطوب اللَّبْن فوق بعضها، ويتم تثبيتها بالطين المبلَّل، أما الأسقف فخشبية أو قباب طينية، حيث يتم بناء القباب بطريقة هندسية دقيقة تقوم على ترتيب الطوب اللَّبْن بشكل دائري ومتدرج حتى الوصول إلى القمة، بينما يتم تزيين الواجهات الخارجية للمباني بزخارف هندسية ونباتية باستخدام الطين الملون. كما يتم تزيينها من الداخل بالعديد من الزخارف الجمالية، سواءً على الأعمدة الخشبية، أو على الجدران.

و«تكاد تكون المميزات المعمارية الموجودة في الجابية متوفرة في عدد من مناطق محافظة شبوة، إلا أن الجابية تتربع على عرش عمارة الطين وفنونها»، حسبما أفاد الباحث السدلة لموقع «اندبندنت عربية»، في وقت سابق، وأشار إلى أن «أهم مميزاتها وأشكالها تتمثل في (النُّوَب) و(البواشير)، فالنُّوَب هي التي تقوم مقام الأبراج والقلاع، وتكون في أعلى الحصن للمراقبة، وتعطي الحصن منظراً جمالياً، بالإضافة إلى جزء في المبنى يسمى (المرادي) وهو عبارة عن شرفة في أعلى طابق من المنزل أو الحصن، وتكون مطلة على السدة أو البوابة الرئيسة للمنزل. أما عن البواشير فهي أعمدة مدببة بأشكال هندسية تقع في أعلى المنزل، وهي ذات دلالة ومعانٍ اعتبارية لدى القدماء، وتدل على المنعة في بيوت الجابية». وبشكل عام يمكن القول إن خصوصية المعمار الذي تحويه مناطق مختلفة من محافظة شبوة لا يكمن في تعدد الأنماط المعمارية، وإنما يكمن في الهاجس الأمني الذي كان ولا يزال يلقي بظلاله على الفنون المعمارية في المنطقة، الأمر الذي أعطاها الكثير من الخصوصية الملبية لحاجة

مجتمع قبلي عاش الكثير من الحروب بين مختلف تكويناتها القبلية والأسرية.

حضارات البناء الطيني

« يُعد البناء بالطين نظاماً تقليدياً متكاملاً، يمتاز بصفات كثيرة، أهمها سهولة التشكيل، وإمكانية الزخرفة، ومناسب للظروف المناخية المختلفة»، طبقاً لما جاء في دراسة تحليلية حول العمارة الطينية للدكتور أحمد إبراهيم حنشور. وأوضحت الدراسة أن الطين «مادة صحية موفرة للطاقة ولا تسبب تلوثاً بيئياً عند البناء أو في حالة الهدم والإزالة، إذ يمكن إعادة استعمال المواد نفسها في البناء والترميم أو إعادة تدويرها، فضلاً عن خواصها الفيزيائية المتميزة، وتكيُّفها مع البيئة، وتلبيتها لخصائص البناء في عموم الأرض، فقد استُعملت مادة الطين في بناء العمارات والأسوار والأبراج والمساجد والمآذن، وغيرها من المنشآت العمرانية التي تكتسب كل يوم أهمية ومزايا خاصة».

وتتفق معظم المصادر التاريخية على أن مادة الطين «شكّلت، منذ فجر التاريخ واستقرار الإنسان في مجتمعات قروية، أهم مواد البناء وأكثرها استخداماً من قِبل الإنسان، إذ لم يقتصر استخدامها على منطقة دون أخرى، بل امتد إلى المناطق الجغرافية والمناخية المختلفة، فقد استعملتها أغلب الحضارات البشرية لبناء منشآتها، مثل حضارات بلاد الرافدين، وبلاد الشام، ووادي النيل، واليمن، وغيرها من حضارات العالم القديم». والشاهد أن كثيراً من البشر حتى يومنا هذا يعيشون في منازل مبنية من الطين، إذ أثبتت هذه المادة ديمومتها، وتناسُب حالتها الطبيعية مع ظروف البيئة المختلفة، والتكيف معها.

ويرى الباحث سالم عوض رموضة، «فرادة اليمن من بين أهم الحضارات الإنسانية التي استعملت الطين في تشييد مدنها وأسوارها وقلاعها وحصونها، ببنائه ناطحات سحاب كما هو ماثل في شبام حضرموت، كما أن الإنسان اليمني جعلها تتكيف مع الطقس المتنوع في البلد، إذ تكون دافئة وقت البرد، وباردة وقت الحر، ومنحها وظيفتها الجمالية إلى جانب وظيفتها الاجتماعية، إذ تبدو المباني الطينية في اليمن وكأنها تحفٌ بأشكالها الهندسية وطوابعها الجمالية، ويتجلى ذلك في طريقة هندسة نوافذها وأبوابها، وأشكالها التي تبدو في غاية الإتقان».

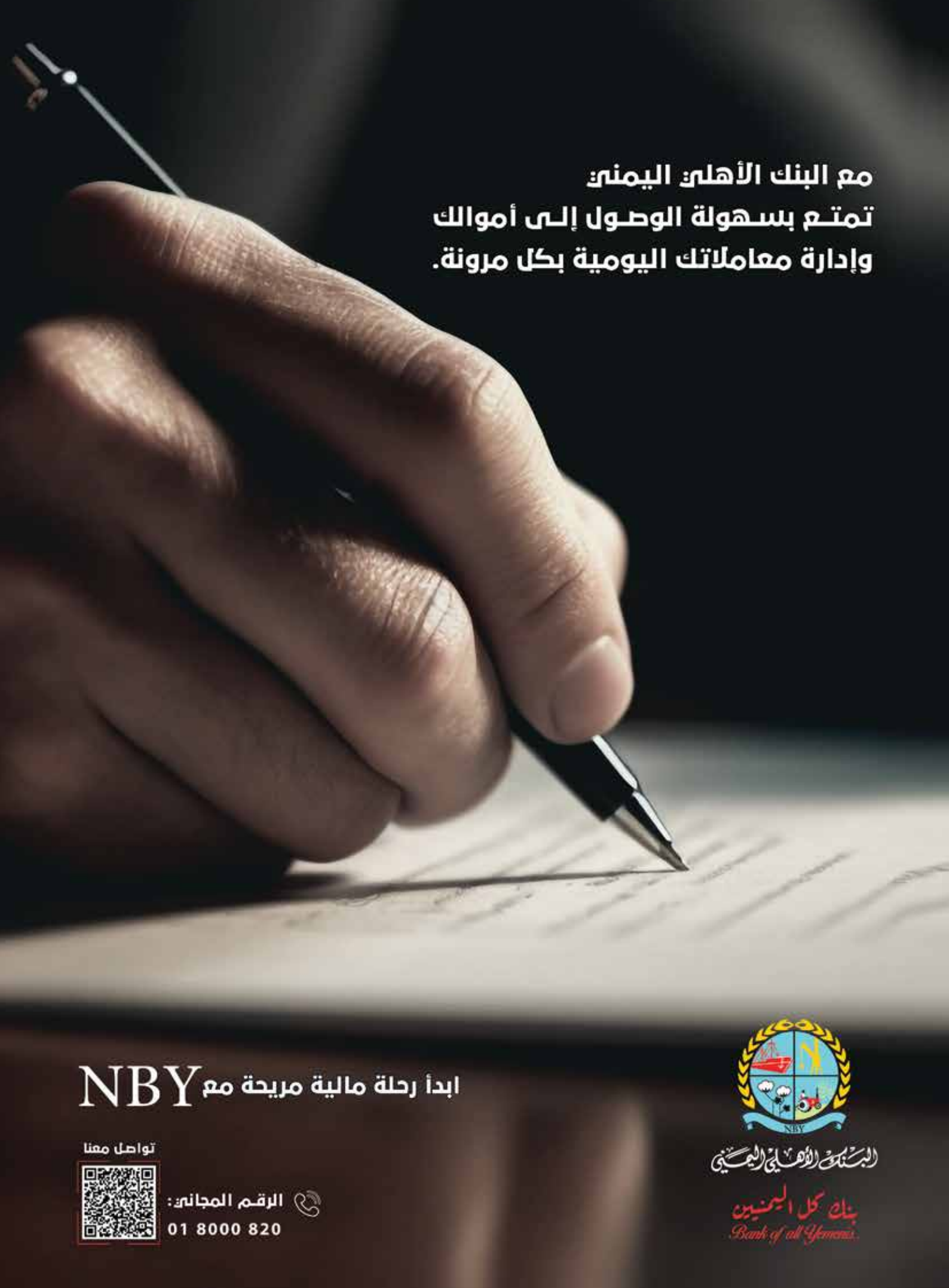
مع البنك الأهلي اليمني
تمتع بسهولة الوصول إلى أموالك
وإدارة معاملاتك اليومية بكل مرونة.
ابدأ رحلة مالية مريحة مع NBY
تواصل معنا
الرقم المجاني:
01 8000 820
البنك الأهلي اليمني
بنك كل اليمنيين
Bank of all Yemenis

أذكار المسافر

دعاء السفر

اللّه أكبر، اللّه أكبر، اللّه أكبر،
(سُبْحانَ الَّذي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَا لَهُ مُقْرِنين، وإنَّا إلى رَبْنَا لَمُنقَلبُون)،
اللهم إنا نسألُك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى ومن العمَل ما ترضَى. اللهم هَوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعْثاءِ السفر، وكآبة المنظر وسوء المنقلب، في المال والأهل.

وإذا رجع قالهن وزاد فيهن:

«آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون».

دعاء المسافر للمقيم:

«أستودعُكَ اللّه الذي لا تضيع ودائعه».

دعاء المقيم للمسافر:

«أستودع اللّه دينك وأمانتك، وخواتيم عملك..
زودك اللّه التقوى، وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيث ما كنت».

التكبير والتسبيح في السفر

قال جابر رضي اللّه عنه:«كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا».

دعاء المسافر إذا أسحر

«سَمعَ سَامعٍ بحمد اللّه وحُسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا، وأفضِل علينا عائذاً باللّه من النار».

دعاء دخول القرية أو البلدة

«اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، وربالشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين.أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها.

الدعاء إذا نزل منزلاً في سفر أو غيره

«أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق».

الذكر عند الرجوع من السفر

يكبر على كل شرف ثلاث تكبيرات ثم يقول:لا إله إلا اللّه وحده لا شريك لهُ، لهُ الملك، ولهُ الحمدُ وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، صدق اللّه وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

أجندة مسافر

السياحة العلاجية..
أفضل خمس وجهات عالمية للاستشفاء

معايير تحديد أمتعة السفر..
نصائح وإرشادات

ذكاء اصطناعي متوافق مع البشر:
حتى لا تسيطر الآلة على العالم

احترام الوقت كمعيار لتقدم الأمم

أعد الملف: خليل المعلمي - هيئة التحرير

السياحة العلاجية..

أفضل خمس وجهات عالمية للاستشفاء

تعد السياحة العلاجية من أهم أنواع السياحة في العالم، وهي السفر بهدف العلاج أو الاستجمام في المستشفيات والمنتجعات الصحية في مختلف بقاع العالم. لذا فقد شهد هذا النوع من السياحة خلال العقود الأخيرة نمواً كبيراً، وأصبحت من القطاعات الرئيسة في صناعة السياحة، وذلك لأسباب متعددة تتعلق بارتفاع تكاليف الخدمات الطبية في البلدان المتقدمة، ومعايير الدخول (التأشيرات)، والإقامة، ومستوى غلاء المعيشة في تلك البلدان.

ومن المؤكد أن المرضى يتوقون للجمع بين العلاج والسفر والترفيه والنقاهة، خصوصاً مع زيادة الوعي العام وسهولة الوصول إلى المعلومات حول المراكز العلاجية والأطباء الأفضل في مختلف بلدان العالم، الأمر الذي شكّل عاملاً حيوياً لزيادة ثقافة السياحة العلاجية التي تعتمد على استخدام المصحات والمشافي المتخصصة، المزودة بأحدث ما توصل إليه العلم في مضمار الطب من تجهيزات وكوادر تمتاز بالكفاءة العالية التي تنتشر في جميع دول العالم، غير أن دولاً تفوقت على غيرها، وأصبحت أهم وجهات السياحة العلاجية، وهي كثيرة، سنورد منها أفضل خمس دول على مستوى العالم:

• تايلاند

تعد تايلاند الوجهة الأولى للسياحة العلاجية في العالم، إذ تشهد سنوياً دخول قرابة 2.4 مليون شخص بهدف العلاج في مستشفياتها ومنتجعاتها الصحية، وذلك بسبب انخفاض تكاليف العلاج فيها مقارنة بالدول الغربية، حيث يكلف العلاج في هذا البلد أقل من 50-70 ٪ مقارنة بالتكلفة في الدول الأوروبية.

هذه التكلفة المنخفضة تسمح لمريدي السياحة العلاجية القادمين من مختلف دول العالم، الحجز في أفضل وأفخم المستشفيات ومراكز الرعاية والمنتجعات الخاصة في البلاد، يشرف عليها ويديرها ويشغلها أطباء وموظفون تايلانديون تلقوا تعليمهم الطبي في أرقى الجامعات والمعاهد في الدول الغربية، ويتحدثون اللغة الإنجليزية ولغات أخرى منها اللغة العربية بطلاقة، وهو ما يجعل التواصل سهلاً بين المرضى والطاقم الطبي المعالج.

كما عُرفت تايلاند منذ وقت مبكر بعمليات جراحة التجميل، فضلاً عن كونها أصبحت مكاناً لعلاج مختلف الأمراض وبحرفية عالية، حيث توفر البلاد مكاناً ممتازاً لإجراء عمليات جراحية آمنة وبأسعار معقولة، ويمكن للشخص قضاء بضعة أسابيع للتعافي

في أحد المنتجعات الفخمة الساحرة المنتشرة في البلاد.

• سنغافورة

عالمياً، باتت سنغافورة تعرف باسم «سياحة الخلايا الجذعية»، إلى جانب عدد قليل من البلدان المتخصصة بهذا النوع من العلاج، مثل الصين ودول منطقة البحر الكاريبي وبعض من دول أميركا اللاتينية، لكن سنغافورة هي واحدة من أكثر الدول تقدماً في استخدام هذه الطريقة، إلى درجة أنها تفرض دراسة طرق استخدام الخلايا الجذعية في العلاج في جامعاتها ومعاهدها الطبية.

وبالطبع، لا يذهب السياح إلى سنغافورة فقط للعلاج بالخلايا الجذعية، فالبلاد متخصصة أيضاً في علم الأورام، وأمراض القلب، والأعصاب، وجراحة العظام، وأمراض الدم، إضافة إلى امتلاكها للمناظر الطبيعية الخلابة والمنتجعات الطبية الباذخة التي تجعل من فترة النقاهة رحلة سياحية ممتعة.

• تركيا

تضم العاصمة التركية إسطنبول واحداً من أكبر مراكز الرؤية وعلاج البصر في أوروبا، وهي وجهة شهيرة لجراحة العيون بالليزر، وفحوصات العين، ووصفات النظارات الطبية، والعلاجات لحالات مثل الجلوكوما وإعتام عدسة العين، ويوجد فيها أكثر من 600 عيادة مسجلة متخصصة في علاج تساقط الشعر، فتركيا تعتبر أفضل الخيارات لمن يعانون من

مشاكل في الرؤية أو تساقط الشعر.

كما أن تكلفة السياحة العلاجية في تركيا قليلة مقارنة بغيرها من الدول، وتضم أكبر عدد من المستشفيات المعتمدة من قبل الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا، كما أن 32 ٪ من من السياح الوافدين إلى تركيا قدموا بهدف العلاج.

- **الهند**

ما يميز الهند عن غيرها بين أفضل وجهات السياحة العلاجية عالمياً، هو أنها تقدم تأشيرة تسمح للمريض بالبقاء لمدة تصل إلى 60 يوماً مع مرافقه الخاص، كما تمتلك الحكومة الهندية موقعاً إلكترونياً للسياحة العلاجية يسمح للزوار بمعرفة كافة الإجراءات المتاحة، وتقديم شرح مفصل عن المستشفيات والمنتجعات الموجودة في البلاد، بحيث يختار الزائر المكان والمنطقة التي تعجبه وتتوافق مع حالته الصحية.

ويوجد في الهند أطباء ذوو تعليم عالٍ يمكنهم إجراء العمليات الجراحية الأكثر تعقيداً بسعر زهيد، وهذا هو الدافع للعديد من السياح الذين يختارون الهند كوجهة طبية لهم، وتشمل بعض مجالات العلاج الأكثر شيوعاً «أمراض القلب، والأورام، وزراعة الأعضاء، والخصوبة، وجراحة العظام».

- **كوريا الجنوبية**

تصنف كوريا الجنوبية ضمن أكثر دول العالم نسبة في إجراء عمليات التجميل، ويُعزى ذلك إلى إقبال الفتيات الكوريات على إجراء هذه العمليات ليصبحن أكثر جمالاً وجاذبية، وهذه النتائج المبهرة سلطت الضوء على النظام الطبي في كوريا الجنوبية، وشهدت البلاد طفرة كبيرة في السياحة العلاجية في السنوات القليلة الماضية.

وتشير التقديرات إلى أن أكثر من 379 ألف مريض يأتون إلى كوريا الجنوبية للسياحة العلاجية في كل عام، وهذا الرقم في ازدياد مستمر، حيث تمتلك كوريا الجنوبية تقنية طبية متطورة، والعديد من الأفراد يأتون لإجراء الجراحة التجميلية وعلاجات العمود الفقري وزراعة الأعضاء، غير أن زيادة الإقبال على السياحة العلاجية فيها أدت إلى زيادة التكاليف أيضاً.

ســـــتيوارت راســـــل فـــــي كتـــــاب:

ذكاء اصطناعي متوافق مع البشر:
حتى لا تسيطر الآلة على العالم

«في مُخيِّلة عامة الناس يوشك الذكاء الاصطناعي أن يصل إلى مرحلة خطيرة لا تهدد الوظائف والعلاقات الإنسانية فحسب، وإنما تهدد الحضارة البشرية ذاتها». عبارة ضيقة، لكنها تتسع لتكون توطئة لأجمل كتاب مترجم إلى العربية قرأته في توصيف وتعريف الطفرة الراهنة في مضمار الذكاء الاصطناعي واستحكام سيطرة الآلة على البشر، إنه كتاب «ذكاء اصطناعي متوافق مع البشر: حتى لا تفرض الآلات سيطرتها على العالم»، لمؤلفه «ستيوارت راسل»، الصادر باللغة الإنجليزية في عام 2019م، وصدرت نسخته العربية عن مؤسسة هنداوي 2022م، وترجمه إلى العربية مصطفى محمد فؤاد، وأسامة عبدالعليم.

في هذا الكتاب الرائد والرائع، يقدم الباحث المعروف في مجال الذكاء الاصطناعي «ستيوارت راسل» محاولة مبسطة للإحاطة بمفهوم أبعاد وحدود الذكاء الاصطناعي، بوصفه الاصطلاحي المخيف، بوصفه الإجرائي المبسط المتمثل في سيطرة الآلة على العالم، لكنه يذهب بعناية لتفكيك عُقد الخوف من طفرة الذكاء الاصطناعي وصولاً إلى إمكانيات البشر في تجنب السيناريوهات المخيفة لمآلات ثروته الواسعة، شريطة إعادة التفكير في مجال الذكاء الاصطناعي بالكامل.

وعبر بحثه الدقيق، يبسط المؤلف السياقات التي تعيد تقديم الصورة المعرفية لمحاولاتنا لفهم ماهيَّة الذكاء الاصطناعي ومساعينا لمضاهاته في الماضي والحاضر والمستقبل، خصوصاً بعد أن تطور الذكاء الاصطناعي بسرعة ليصير مظهراً سائداً في حاضرنا، وسيكون بلا شك التقنية المهيمنة في مستقبلنا، لذا يشدد المؤلف «راسل» على ضرورة التخطيط لاحتمالية أن تتخطَّى الآلات مقدرة البشر العقلية على اتخاذ القرارات في العالم الواقعي.

وتبعاً لذلك فقد بدأ المؤلف كتابه باستكشاف فكرة الذكاء الاصطناعي في البشر والآلات، مستعرضاً التطوُّرات التي مر بها قبل الوصول إلى الذكاء الاصطناعي الخارق، والطرق التي يسيء بها البشر استخدام الذكاء الاصطناعي الآن، بدايةً من الأسلحة الفتَّاكة الذاتية التشغيل، وحتى الفيروسات. مؤكداً أنه إن حدثت التطوُّرات المتوقَّعة وظهر الذكاء الاصطناعي الخارق، فإننا بذلك نكون قد أوجدنا كياناتٍ أقوى بكثير منا نحن البشر.

ويحاول الباحث «ستيوارت راسل» في هذا الكتاب- الذي ينقسم إلى ثلاثة أجزاء- أن يستطلع عبر الجزء الأول مفهوم الذكاء في البشر وفي الآلات، وفق وسائل مبسطة مفهومة للقارئ العادي والمتخصص، حيث حرص المؤلف أن يذيِّل كتابه بأربعة ملاحق يشرح كل واحد منها بعض المفاهيم الأساسية التي ترتكز عليها نُظم الذكاء الاصطناعي الحالية.

وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب- الذي يتكون من 862 صفحة- ناقش المؤلف في ثلاثة فصول، المشاكل التي نجمت عن غرس الذكاء في الآلات، باحثاً في «مُعضلة التحكُّم»، والكيفيات الدقيقة التي تبقي الإنسان متحكماً بالآلات، عبر أربعة فصول، قدم المؤلف في الجزء الثالث من الكتاب طرقاً جديدة للنظر إلى الذكاء الاصطناعي بكونه من صنع الإنسان، ما يتوجب على الأخير العمل الدقيق لضمان بقاء الآلات في خدمته إلى الأبد، مُطيعةً لأوامره وملتزمة بتحقيق أهدافه، دون أن يكون لها أي أهداف ذاتية، وبما يمكنه من تجنب الصراع المرعب بين البشر والآلات، الذي تصوره أفلام هوليوود وروايات الخيال العلمي.

أهمية هذا الكتاب- بوصفه المرجع الأكثر تبياناً لمحددات الذكاء الصناعي وأسئلته الجوهرية- تكمن أيضاً في المكانة العلمية التي يتمتع بها المؤلف «راسل»، بكونه يعمل أستاذاً لعلوم الكمبيوتر بجامعة كاليفورنيا في ببيركلي، وأستاذاً للهندسة بالجامعة ذاتها، وفي كونه شغل منصب نائب رئيس مجلس الذكاء الاصطناعي، وعلم الروبوتات التابع للمنتدى الاقتصادي العالمي، ومستشاراً للأمم المتحدة في مجال الحد من التسلح.

وألَّف -بالتعاون مع بيتر نورفج- المرجع الشهير عالمياً في مجال الذكاء الاصطناعي، الذي يحمل عنوان «الذكاء الاصطناعي: مقاربة حديثة».

احترام الوقت كمعيار لتقدم الأمم

في المواعيد المرتبطة بالسفر جواً، تدرك مُسبقاً قيمة الإحساس بالزمن، حين يطلب منك موظف قطع التذاكر أو دليل الرحلة الالتزام الحرفي بالوقت، لكنك تكتشف بعد خروجك من مكتب قطع التذاكر، أن العبارة ترافقك عندما تنظر إلى التذكرة فتجد عليها عبارة «يجب على المسافر الحضور مبكراً قبل موعد إقلاع الطائرة بساعتين على الأقل، تجنباً لأي طارئ».

إنها عبارة تقرع في وجدانك الإحساس بالزمن، بل إنك تدرك لحظة سفرك في المطارات والدول والفنادق والفعاليات، أن احترام الوقت معيار واقعي لتقدم الأمم، بل ورأس مال استثماري لا يقدر بثمن مهما كانت الأرقام، إنها العبارة التي تحيل العقل المتأمل والواعي إلى مكانة الوقت من مسار حياة كل شخص، وهو رأس المال الذي قامت على أساس استغلاله الحضارات، وتقدمت الأمم والشعوب عبر استغلاله استغلالاً أفضل، ليؤدي مع مروره المقرون بعمل البشر إلى تراكم بنيوي عمراني وعلمي معرفي أفضى إلى ما نشاهده اليوم من طفرة حضارية مذهلة، يكشفها لنا السفر عبر خارطة العالم.

وعبر التاريخ تجد الوقت مقدساً في الأساطير والثقافات والأديان السماوية، وفي ديننا الإسلامي أمر الله تعالى الإنسان، في محكم التنزيل، أن يستغل الوقت في مهمة الاستخلاف وعمارة الأرض وعبادة الله، وذلك باستباق الخيرات والمسارعة إلى الفوز بغفرانه ورضوانه، عبر الاستغلال الدقيق للوقت، حيث قال جل في علاه: «ولكلٍّ وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات، أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً»، البقرة 148. وقال أيضاً: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين»، آل عمران 133.

وفي الأثر النبوي، روى ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وصحتك قبل موتك». وذلك لا يدرك إلا باستغلال الوقت، فـ«السقم والهرم والفقر» أهم الأمور والعوامل التي تسلب من الإنسان قدرته على العمل، وتمنعه من الاستفادة من الوقت في مسار حياته التعبُّدية والتعاملية والعمرانية «عمارة الأرض»، أما إذا نزل أجله، فقد نفد رأس ماله من الوقت فانقطع عمله.

وتبعاً لذلك، ليس غريباً أن يتنافس الفلاسفة ورجال الدين والسياسة والاقتصاد والإدارة في صوغ عبارات الحكمة والشعر والأدب والنثر والكلام في وصف قيمة الوقت، ومن أشهر الاقتباسات الموصولة بمحاولة إنصاف وتوصيف ومدح الوقت والتحذير من إهداره:

«أقوى المحاربين هما الصبر والوقت» - ليو تولستوي، مفكر ديني روسي.

«الوقت هو أكثر ما نريده، ولكنه أسوأ ما نستخدمه» - وليام بن، فيلسوف ورائد أعمال إنجليزي.

«المستقبل شيء يصل إليه كل إنسان بمعدل ستين دقيقة في الساعة، مهما فعل، كائناً من كان» - كان كليف ستابلز لويس، كاتب وأديب إنجليزي.

«الوقت لعبة يلعبها الأطفال بشكل جميل» - هيراكليتس، فيلسوف يوناني.

«الوقت هو أطول مسافة بين مكانين» - تينيسي وليامز، كاتب مسرحي وسيناريو أمريكي.

«الوقت مجاني، لكنه لا يقدر بثمن، لا يمكنك امتلاكه، ولكن يمكنك استخدامه. لا يمكنك الاحتفاظ به، ولكن يمكنك إنفاقه، وبمجرد أن تفقده، فلن تتمكن أبداً من استعادته» - هارفي ماكاي، رجل أعمال أمريكي.

«الزمن هو المستشار الأكثر حكمة على الإطلاق» - بريكليس، رجل إدارة وسياسة يوناني.

«الزمن هو المدرسة التي نتعلم فيها، والزمن هو النار التي نحترق فيها» - ديلمور شوارتز، شاعر أمريكي.

«الوقت هو ما يمنع حدوث كل شيء دفعة واحدة» - راي كامينغز، أديب ومؤلف أمريكي.

«الوقت هو أثمن ما يمكن أن ينفقه الإنسان» - ثيوفراستوس، فيلسوف وعالم طبيعة يوناني.

«الوقت هو عملة حياتك. إنها العملة الوحيدة التي تملكها، وأنت وحدك من يستطيع تحديد كيفية إنفاقها» - كارل ساندبيرغ، شاعر أمريكي.

«الزمن يمضي مثل حبات الرمل ولن يعود مرة أخرى» - روبن شارما، مؤلف مدرب كندي، يعد من أفضل خمسة خبراء في القيادة على مستوى العالم، ومؤلفاً ذائع الصيت على المستوى الدولي.

«الوقت بطيء جداً لمن ينتظر، سريع جداً لمن يخشى، طويل جداً لمن يتألم، قصير جداً لمن يحتفل، لكنه الأبدية لمن يحب» - وليم شكسبير، شاعر وكاتب ومسرحي وممثل إنجليزي.

معايير تحديد أمتعة السفر..

نصائح وإرشادات

يُفاجأ الكثير من المسافرين بالوزن الزائد في أمتعة سفرهم وهم في المطار، فيضطر الكثير منهم لدفع تكلفة إضافية من ميزانية السفر مقابل الوزن الزائد، فيما كان بالإمكان تلافي ذلك من خلال معرفة الوزن المسموح به للرحلة، والتعرف على قانون النقل الجوي، وما يجب على المسافر من إجراءات بسيطة لاختيار الأمتعة الهامة دون أن يزيد من الوزن.

قد لا تخلو تجربة السفر جواً من الانتظار المُرهِق في طوابير طويلة تزدحم بالحقائب والأمتعة، وإجراءات الوزن والفحص والتفتيش، فضلاً عن احتمال ضياع الحقائب أو تأخيرها.

ويجب أن نفرق بين نوعين من أمتعة السفر، وذلك لاختلاف الأوضاع القانونية المتعلقة بها في جانب تعويضات التلف أو الضياع وهي «أمتعة مسجَّلة» و«أمتعة شخصية». فالأمتعة المسجَّلة هي كل ما يسلِّمه المسافر لشركة الطيران من حقائب لتوضع في الشحن عند استلامه تذكرة صعود الطائرة، فهي تبقى في عهدة شركة الطيران وتكون مسؤولة مسؤولية كاملة عنها، وأما الأمتعة الشخصية هي كل ما يحمله المسافر من حقائب اليد أو خلاف ذلك عند صعوده لمقصورة الطائرة، وهذه تكون مسؤولية المسافر نفسه.

وبحسب القوانين الدولية فإن نوع الطائرة والوجهة والمسافة المقطوعة أمر حاسم في تحديد الوزن الكلي الذي يجب أن تقلع به الطائرة، شاملاً عدد المسافرين، وكذا وزن الأمتعة التي يجب أن تستوعبها، والحدود الدنيا والعليا للوزن المسموح به لكل مسافر بحسب درجته ووجهته، وبما يتراوح بين (25-32) كيلو جراماً بحسب المعايير التي تختلف من شركة طيران لأخرى.

لذلك ينصح الخبراء في مجال السفر الجوي بتجنب السفر بحقيبة كبيرة إلا للضرورة القصوى لتوفير الوقت والمال وتجنب مشكلات الحقائب الضخمة، وعدم الاضطرار إلى الانتظار أكثر في مطار الوصول، غير أن وضع كل ما يلزم من أمتعة في حقيبة محمولة أمر صعب بالنسبة إلى البعض، لذلك يقدم خبراء السفر طرقاً عمليةً ونصائحَ هامةً لتجنب إرباك زيادة أوزان أمتعة السفر، أهم تلك النصائح والطرق:

- قبل تجهيز أمتعة السفر يجب على المسافر التأكد من معلومات الحجز ووزن الأمتعة المسموح به لشركة الطيران التي سيسافر على متنها، ثم يقوم بتجهيز الأمتعة بما يتوافق مع شروط ومعايير الشركة.
- على المسافر تطبيق القاعدة التي تقول: «ضع ما تحتاجه وليس ما تحبه»، والتفكير بعناية في مبررات أخذ كل قطعة، وفي هذا السياق، يُشدد الخبراء على أن «مفتاح السفر بالحقائب اليدوية، هو أن نحزم ما نحتاجه فقط، مع استبعاد 30% إلى 40% من الضروريات التي تأكد عدم الحاجة إليها».
- يجب القيام بوزن الأمتعة قبل التوجه إلى المطار من خلال ميزان الأمتعة.
- اختيار الأمتعة خفيفة الوزن لوضعها في حقائب السفر بدلاً من الأمتعة الثقيلة.
- يفضل تسجيل الوصول في وقت مبكر ليتاح للمسافر تفريغ الأمتعة الزائدة في حال تواجدها.
- يمكن شراء الهدايا التذكارية ذات الوزن الخفيف، وبما لا يزيد من وزن حقيبة السفر.

وتشترط شركات الطيران ألا يزيد حجم حقائب اليد على (22 × 14 × 9) بوصات، أو (59 × 35 × 23 سنتمتراً)، كما أن هناك وحدات قياس وقواعد لوزن

حقيبة اليد.

ويسمح للمسافر بحمل وزن أمتعة يتجاوز الوزن المسموح به من خلال شراء وزن أمتعة إضافي، في حال رغب بذلك، حيث تضع شركات الطيران رسوماً إضافية محددة على كل كيلو جرام إضافي من الأمتعة أو لكل قطعة، ويختلف ذلك باختلاف شركات الطيران، كما تقوم بعض الشركات بتحديد رسوم الأمتعة، باختلاف الوجهة أو الدرجة التي سيسافر الراكب على متنها.

أهم قوانين النقل الجوي

تعد اتفاقية «شيكاغو للطيران المدني» التي تم التوقيع عليها في العام 1944م، إحدى أبرز الاتفاقيات القانونية الدولية التي أسهمت في تنظيم صناعة السفر والطيران المدني على مستوى العالم، وجعل السماء مكاناً أكثر أماناً وكفاءة للتنقل بين الدول الأعضاء.

وتضع هذه الاتفاقية معايير لسلامة الطائرات وتشغيلها، بما يضمن تقليل المخاطر وحماية المسافرين، ومن أهم ذلك كيفية حساب وزن الطائرة والطاقم والركاب والأمتعة والوقود، واحتساب اللحظة لكل عنصر، وتحديد اللحظة الإجمالية بإضافة لحظة كل عنصر، ومن ثم احتساب مركز الجاذبية (CG) بقسمة اللحظة الكلية على الوزن الإجمالي، وتتم المقارنة بين (CG) بالحدود المسموح بها في دليل الطائرة.

ومع توقيع اتفاقية شيكاغو، تم تأسيس المنظمة الدولية للطيران المدني (ICAO) التي يقع مقرها في مونتريال بكندا، وتعد هذه الهيئة المسؤولية عن الإشراف على تنفيذ أحكام الاتفاقية، وتقديم الإرشادات والمعايير الدولية لضمان السلامة والكفاءة في عمليات الطيران المدني.

الجنَّـــة الخضراء المرصعـــة بالقرى والقلاع

محمية عُتُمة..

الطبيعة التي فتنت التاريخ

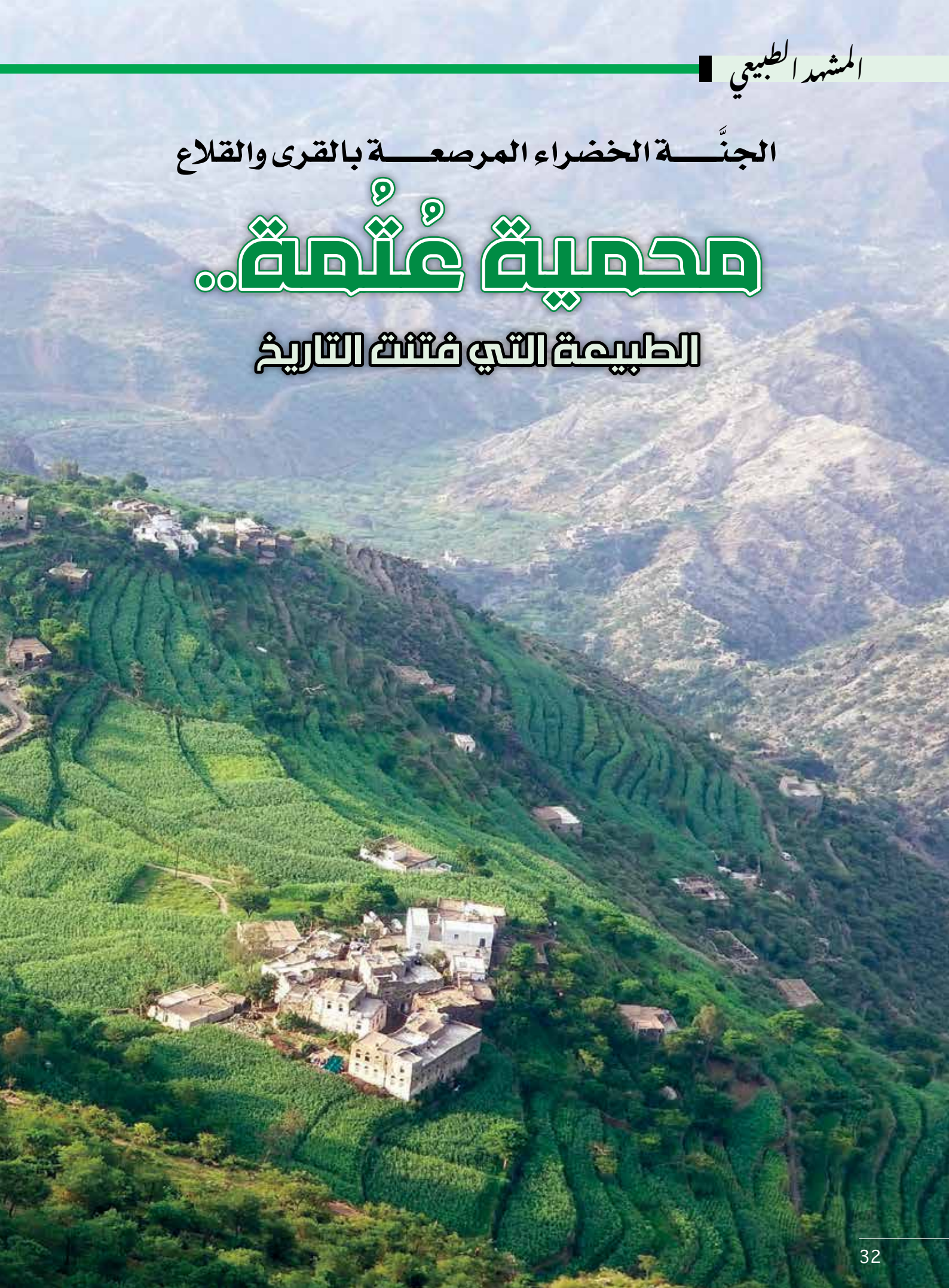

من فوق رباها الخضراء يستحضر المرء تاريخاً من افتتان الشعراء والكتَّاب وأدباء الرحلات بهذا المشتل الطبيعي المفتوح. إنها «عتمة» المديرية التابعة لمحافظة ذمار، والمحمية الموصولة بعوالم الجمال الساحر، واستدامة الخضرة وعشق الحياة الذي لا ينتهي.

في هذه المادة الصحفية الاستطلاعية، سنطوف في مسارح الظل والخُضْرَة والمدرجات والواحات والعيون الجارية، والقرى المغتسلة بأنداء الطبيعة التي تتضوع عطراً من روائح المطر، والخصب والعطاء، وسنذهب إلى صفحات التاريخ لقراءة ما تيسر من مراحل العمران والسُّكنى في هذه البقعة المميزة من جغرافيا اليمن، لكن قبل ذلك سنذهب إلى تأصيلٍ مفاهيمي لدلالة ومعاني مفردة «عُتُمة».. إلى التفاصيل:

عبدالرقيب الوصابي
تصوير/ يوسف جبل

ومن كثافة أشجارها المقرونة بدوام الخضرة، ومن سواد سحبها المطيرة، وكثرة أشجار العُتُم (بنات شجرة الزيتون البري) جاءت تسمية «عُتُمَة» (بضم العين والتاء وفتح الميم وسكون الهاء)، ومن تلاقح تلك الألوان الغامقة لتلك العناصر الثلاثة، اكتسب الاسم معنى الظلمة، التي لا تعني ظلمة الليل بقدر ما تعني كثافة الظل الوارف تحت تداخل أغصان أشجار أيكاتها الممتدة على مرامي البصر. وقد ذكر الحبيشي في كتابه «تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار»: إنما سميت عتمة باسم شجرة كبيرة كانت فيها من شجرة العتم «الزيتون البري» وقطعت، وكان موضع قطعها باقياً باتساع عشرة أذرع إلى حدود سنة 740هـ.

متعة السفر إلى عتمة

في أحد أيام أغسطس من العام المنصرم، اعتزمنا زيارة محمية «عتمة»، كنا مجموعة من الأصدقاء، جمعنا هَمٌّ مشتركٌ، وهدفٌ واحدٌ لا يريد غير الاغتسال بالطبيعة من كل تعب الحياة، ومشاكلها التي لا تكاد تنتهي. كانت مدينة ذمار هي منطلق الرحلة، فيما كانت الشمس تتعامد في كبد السماء، خلف سحب بيضاء ممطرة، وفي الساعة الوحدة ظهراً استدارت عجلات السيارة التي تقلنا لتبدأ طي مسافة يبلغ طولها قرابة 60 كيلومتراً جنوب غرب مدينة ذمار، إنه طريق إسفلتي مريح يقودنا صوب فراديس الطبيعة البكر «عتمة»، غير أن الأجمل في تلك الطريق تمثَّل في المطر الذي بدأت غزارته بعد أن ابتعدنا عن المدينة (ذمار) بنحو 20 كيلومتراً، كنا كما لو أننا نمشي على أصابع أرواحنا حتى لا نزعج الملائكة، غير أننا رغم ذلك التخفي والتسلل الجميلين لم ننجح في ذلك، وعندما انتبهت الملائكة لإيقاع خطونا قطفوا من نجوم السماء ضوءاً وأغنيةً وقالوا: كوني عتمة، وتنزَّلت- للتو- من أعالي السماء «بلدة طيبة ورب غفور».

إنها عتمة، أرض غضة فائقة السحر، نبتت من أنواع العشب والزهر ما لا يبلغه إحصاء، غير علم الله، وعلى مرمى النظر تترامى القرى المعلقة، وتنمو الأشجار حول الحقول بطريقة تتيح للأرض معانقة السماء.

الوصول إلى عتمة

في أصيل ذلك اليوم، وفيما كان المطر لا يزال يهطل بشكل خفيف، وصلنا لتستقبلنا الحقول المترامية الأطراف، المتراقصة على إيقاع رعود وبروق شهر آب (أغسطس) الذي لم ندرك افتتانه بجمال محمية عتمة إلا صباح اليوم التالي لوصولنا عتمة، وتحديداً إلى منطقة الميدان، التي بتنا فيها عند أحد الأصدقاء، لتتجلى دهشتنا الحقيقية وغير المسبوقة، بذلك الصباح المشرئب بروائح المطر، لقد كان صباحاً لم نرَ مثله حتى في مخيلة الطفولة، لقد بدا الصباح مفتوناً بالطبيعة لامعاً على الأشجار وواجهات القرى المتناثرة كاللآلئ، والمشبعة بأنفاس الأنقياء والبسطاء من البشر، إنها عتمة محمية الله، وفضاء الروح، تحفها الغيول، وتباركها الشلالات وتحرسها الفاتنات حاملات الشريم يقتطفن الزغاريد والفرح من أعالي جبالها وبطون أدويتها الغناء بأقدم أسرار النشأة الأولى على ظهر هذه الأرض.

في ذلك الصباح رأينا الحقول تبتسم، والقرى تشع بياضاً من ألق الجمال الذي يملأ وجهات منطقة الميدان، بني بحر، وغيرها من التجمعات الحضرية، المكسوة ببياض النورة، والمحاطة بخضرة الحقول. كان الصباح يمد جناحيه على الكون، وأرسلت الشمس أشعتها لتغمر الأرض دفئاً ونوراً، وكانت السماء زرقاء صافية صفاء عيني الوليد، فيما الأرض بساط أخضر موشىً بأشكال الطيور التي تملأ الأفق غناءً وشدواً، والفراشات الملونة ترفرف بأجنحتها المزركشة على الزهور والرياحين الفواحة بالعطور، وبدت سنابل الحبوب بأنواعها وأشجار الفاكهة كتيجان على رؤوس العرائس، فيما المواشي والحيوانات ترتع في الحقول والمراعي المترامية ذات اليمين وذات الشمال.

التاريخ يفتتن بالطبيعة

في ذلك الصباح العامر بتجوالنا على

جبال وهضاب وتلال وواحات مديرية عتمة، بدت أمام ناظري قلعة مسترخية كأميرة مدلَّلة على ظهر ربوة، كحارس أبدي لتلك القرى والواحات، إنها قلعة بني أسد، التي يتضح من أطلالها أنها كانت محاطة بسور منيع لا يزال معظمه قائماً إلى اليوم كقلادة بديعة تُحيط بعنق عذراء فاتنة جميلة، أدهشني المنظر كثيراً، بينما نسي أصدقائي أفواههم مفتوحة تعبيراً عن دهشتهم. حاولت تجاوز فضاءات الدهشة، وأخذت أتهجَّى أبجديات السحر الغامض، محاولاً قدر المستطاع استنطاق تعاويذ الأزمنة المتعاقبة، وحين اقتربت من سور القلعة انجلى الغطاء، فهذا

المكان الشاهق باتجاه السماء يعدُّ مجمع التفاصيل، وسرة الأرض، ونقطة تماس الجبل والوادي، وعند أقدام هامش جباله الخضراء المجاورة تتعانق الأزمنة الغابرة في التاريخ الأصيل، وتتماهى الأرواح على متن غيمة قريبة من المكان ليظل المكان باقياً على حميميته، تحرسه عين الله. وفي الاتجاه المقابل للقلعة رأيت ملاكاً تحجَّرت أعضاؤه، إذ غدا على هيئة رأس أسد، لا يختلف كثيراً عن «أبو الهول» في مصر الحبيبة، وإن كان أشد التصاقاً بالأرض، وأكثر انتماءً إليها، وعرفت حين أمعنت النظر إليه بأنه باقٍ في مهمته كشاهد على المكان والزمان، وكمتعهدٍ بحراسة الأسرار المقدسة للأرض السعيدة، وعلى الشاكلة المعهودة منذ ابتدأ الزمان استدارته المنتظمة.

ولمن لا يعلم، فقلعة بني أسد ليست القلعة الوحيدة في بلاد «عتمة»، فحيث يمَّمت وجهك في عزل وقرى عتمة تجد الجبال والروابي متوجةً بعشرات القلاع والحصون، ففي بني معوضة تجد حصن الشرم، وفي عزلة علي الشرقي تستقبلك قلعة سماه الشاهدة على أبدية المكان، وفي عزلة بني البحر حِصْنَا بومة ويفاعة، وفي عزلة النوبتين حصن النوبتين، وحصن حيدر في بني سويد، وقلعة الذاهبي، وحصن الصنعة في عزلة المطبابة، وحصن الحصين في عزلة الأتام، والمنظوف بعزلة السفل، وحصن المقنزعة بعزلة المقنزعة، وحصن الذهب الناطق بعزلة حِمْيَر أبزار، وكذلك حصن الحلبة بعزلة بني الغريب.

يعود تشييد تلك القلاع والحصون إلى فترات تاريخية مختلفة ضاربة في القدم، إذ بني عدد من تلك القلاع والحصون على أنقاض حصون حميرية، وعدد آخر منها يعود إلى فترة الحملات العثمانية المتعاقبة، أو إلى عصر الدويلات الإسلامية في اليمن.

المساجد والأضرحة

في اليوم نفسه، قررت زيارة مسجدين أثريين من مساجد محمية عتمة، هما مسجد هجرة «الطفن»، ومسجد قرية «موكف»، وهناك أفاق الجمال بمئزره، وبرزت عظمة الفن اليمني في زخرفة المساجد وعمارتها. وفي محمية عتمة استمد الطابع المعماري للمساجد من الطبيعة، أي مواد البناء الموجودة في البيئة، والملاحظ أن تلك المساجد لقيت عناية كبيرة من حيث البناء والزخرفة والنقوش، والتجميل، ولعل الزخرفة والنقوش كانت من أوسع الفنون انتشاراً في اليمن بشكل عام، وفي محمية عتمة بشكل خاص، فالمساجد في عتمة تشبه حبات اللؤلؤ والعقيق المنثور بكثرة في القرى، وعلى جنبات الطريق. خلف بياض هذه المساجد تستريح الدعوات، وتغفو الابتهالات مدثرةً بالبياض والقضاض، تشم روائح التاريخ تنبعث من ثنايا أحجارها المهندسة بإبداع كبير، فمثلاً جامع قرية «الطفن» سقفه من الخشب البني المحمَّر، تحتشد فيه الكتابات والمنمنمات والقصائد التي تحكي تاريخ بنائه، وتكشف شخصية وظروف الباني والبناء.

إن زخرفة المساجد تحكي قصة جمال، وتعكس روحانية المكان وأصالة الإنسان اليمني وإبداعه، ويجب الحفاظ عليها وترميمها وصيانتها من قبل الجهات المختصة. كما تنتشر في نواحي وعزل مديرية عتمة العديد من المساجد التاريخية، ومنها على سبيل المثال «جامع الحقيبة، في عزلة بني أسد من مخلاف رازح»، و«جامع الجوقة، في عزلة الجوقة من مخلاف بني بحر». وتعتبر غالبية المساجد في مديرية عتمة من المساجد القديمة التي يعود بناؤها إلى فترات تاريخية ضاربة في القدم.

ومثلما عرفت اليمن الأضرحة الخشبية، منذ مطلع القرن السابع الهجري، اشتهرت مديرية عتمة بالعديد من تلك الأضرحة البديعة، التي تسرد مآثر من يرقد بداخلها، وآثاره النبيلة على امتداد حياته، ومن تلك الأضرحة على سبيل الذكر «الحميضة، الشرم السافل، وهجرة المحروم» وغيرها، وهي عبارة عن توابيت خشبية مزدانة بزخارف قوامها أشرطة نباتية وكتابية، وأشكال هندسية جميعها منفذة على الخشب بطريقة الحفر البارز والغائر، ولا يزال عدد من الأضرحة قائماً إلى زمننا الراهن وبحالة جيدة.

وخلال زيارتي في يوم مطير إلى «هجرة المحروم» من مخلاف سماه، في أعالي عتمة، بعد المرور بالعديد من القرى المعلقة، تعرفت على ضريح «المطهر محمد الجرموزي»، وشُيد الضريح بتاريخ 20 ذي الحجة 1076هـ، حسب ما تحكيه المراجع، ويعتبر من أهم الأضرحة في مديرية عتمة من حيث جماليات بنائه

وزخرفته البديعة، إذ زُيِّن الضريح بزخارف كتابية من جوانبه الأربعة، تستعرض براعة الخط العربي بأنواعه، وتلك الكتابات في مجملها تشير إلى تاريخ مولد صاحب الضريح، وهو في شهر محرم سنة تسع وألف هجرية، كما دُوِّن في الجانب الآخر من الضريح تاريخ وفاته التي توافق عشرين من شهر الحجة، سنة ست وسبعين وألف هجرية، والضريح عبارة عن تابوت خشبي مطرز بزخارف قوامها أشرطة نباتية وكتابية، وأشكال هندسية جميعها منفذة على الخشب بطريقة الحفر الغائر، ويغطي الضريح قبة أقام بناءها عبدالرحمن بن مطهر سنة 1090 هجرية، وهو ابن صاحب الضريح، ثم تحول الضريح إلى مسجد، أما المسجد القديم الموجود الآن خارج الضريح فقد كان في الأصل مسجد القرية، بدأ الشيخ مطهر عمارته- حسب ما تحكيه الكتابة المدونة على الألواح الخشبية المثبتة في سقف المسجد- في العاشر من شهر شعبان سنة 1065 هجرية.

«عُتْمَة».. الخصائص الزراعية

تعتبر محمية عتمة بحق متحفاً جيولوجياً وزراعياً مهماً، فهي محمية طبيعية وبيئية أثبت العلم أنها الأعلى معدلاً للأمطار على مستوى الجزيرة العربية، مفسراً بذلك مقولة الأجداد بأن عتمة زائدة على بقع الأرض بأربعين مطرة في كل سنة، ما جعلها أكثر تنوعاً في الغطاء النباتي وأوفر عطاءً، لذا كانت قديماً- حسب حكايات الأجداد- وجهةً لعلماء الطب الشعبي، حتى أن المغاربة كانوا يترددون على زيارتها لجمع النباتات العلاجية، ولا يزال أبناء عتمة إلى اليوم يستخدمون النباتات كأدوية لعلاج المغص وإيقاف النزيف والتداوي من مختلف الأمراض.

وتمتاز جغرافيا عتمة بتنوع المناخ والتضاريس، فهناك الجبال المطرزة بالمدرجات الزراعية والمراعي والغابات الخضراء، والوديان الزراعية ومسيلات المياه التي تصب في وادي رماع ووادي زبيد ثم في البحر الأحمر، الأمر الذي أدى إلى تنوع في المحاصيل الزراعية، إذ تجود عتمة بمحاصيل زراعية مختلفة، أهمها الحبوب بمختلف أصنافها، كالذرة الرفيعة، والذرة الشامية، والدخن، والقمح، والشعير، والبقوليات المختلفة، والخضروات والفواكه والموز والمانجو والباباي والجوافة، وأصناف الحمضيات من البرتقال واليوسفي والليمون وغيرها من المنتجات، بالإضافة إلى تميزها بزراعة أجود أصناف محصول القهوة «البن» الذي تشتهر به اليمن عبر التاريخ.

وتشتهر محمية عتمه بامتداد المراعي والأحراش والغابات الكثيفة التي تضم أنواعاً عديدة من الأشجار المعمرة، والنباتات الطبيعية، وهو ما يؤدي إلى توازن بيئي وبيولوجي قلَّما يوجد في كثير من المناطق اليمنية، وخاصة مع تواجد أنواع كثيرة من المواشي والحيوانات البرية والطيور بأنواع مختلفة، الأمر الذي أهَّلها لأن تكون أول محمية في الجمهورية اليمنية، إذ أُعلنت محمية طبيعية بقرار مجلس الوزراء رقم (731) من عام 1999م.

عتمة.. ملهمة الشعراء

تغنى بمحمية عُتُمَة العديد من الشعراء، منهم الشاعر العربي الكبير سليمان العيسى الذي قال فيها خلال إحدى زياراته لها ما أورده في إصداره الشعري «ديوان اليمن»:

(يطيب الشعر في عتمة
وأنت تصافح القمة
وتشرد نسمة عذرا
لتملأ صدرك النسمة
منازلها وكور النسر
تهوي فوقها النجمة
وتلثمها لتتركها
على أوتارنا نغمة
نعود إليك يا وطن الـ
جمال البكر يا عتمة).

مع تصاعد الضجيج، وتزايد التلوث البيئي جراء تعاطي الإنسان مع الطبيعة، وانحسار المساحات الخضراء ذات النسائم العطرية تحت ضغط الزحف العمراني الهائل، تظل واحات الورود ورياض الزهور، هي المساحات المتبقية من الطبيعة العامرة بثنائية العطر والجمال، وهي المعادل السحري لنقاء البيئة الحضرية التي يتزاحم عمرانها على كوكبنا، منذراً بتضييق الخناق على

رياض وواحات الورود..
ثنائية العطر والجمال

أنفاس الطبيعة.

في هذه المادة سنحلِّق في فضاءات أهم وأشهر واحات الورود ورياض الأزهار في العالم، وكيف تتسابق الدول على تشكيل عوالم زهرية ووردية خاصة، وبما يعكس ثقافة شعوبها عبر مراحل التاريخ.. إلى التفاصيل:

محمد مبخوت

إن تجوُّلك في الحقول الزراعية اليمنية، خلال مواسم الزراعة والخضرة المرصعة بأكاليل الورود والزهور، يجعلك تشعر باستنشاقك الطبيعي للنسائم الفواحة عطراً من تلك الأكاليل التي يبعث أريجها في نفسك شعوراً بالراحة والطاقة الإيجابية المليئة بالتفاؤل، والإحساس بمتعة الحياة، غير أنك لا تدرك جوهر وكُنْه وقيمة هذا المعادل السحري الجميل للبيئة إلا عند أسفارك وتنقلك في مدن العالم، عندما ترى تلك الحدائق والمساحات الزهرية التي أُنفق على إبداع إخراجها وتشكيلها وريِّها مليارات الدولارات، لتصبح ضمن قوائم أهم المزارات السياحية في دول العالم.

مورد اقتصادي وبيئي

المدهش في عالم الورود، هو التنوع والتعدد الذي لا يحصى من تصاميم الحدائق والمساحات الزهرية، وبما يحيلها إلى موارد سياحية تدر على الدول المال الوفير، مقابل ما تقدمه من خدمات استشفائية للنقاهة والترويح عن النفس، بما تتضمنه من أبعاد جمالية وطبيعية نقية، فضلاً عن اشتمال تلك المساحات الوردية والزهرية على بعد استثماري يتمثل في صناعة وتصدير الروائح العطرية التي تستخدم في صناعة العطور والبخور والصابون والكريمات، وأيضاً في منتجات الطب البديل.

كما تشتمل تلك الواحات الزهرية ورياض الورود على بُعد بيئي ضروري في نقاء الهواء، وتحافظ على التنوع البيولوجي في الطبيعة، كتنوع الطيور والفراشات واليعاسيب، كما تعد أهم مصدر لمراعي نحل العسل، لكون إنتاجها تلك المساحات الزهرية والورود يعتمد على استخدام الموارد الطبيعية مثل الماء والتربة والأسمدة العضوية.

الورود والأزهار في ثقافات الشعوب

تتجلى اهتمامات الدول وشعوبها بمظاهر المساحة الزهرية وحدائق الورود، في المهرجانات الثقافية الشعبية في كثير من دول العالم الشرقية والغربية، كالمهرجانات السنوية التي تشهدها الصين والهند وغيرها من دول شرق آسيا، وكذلك المهرجانات العطرية والزهرية في دول أوروبا والأمريكتين، وفي الربيع- الذي يختلف موسمه من منطقة لأخرى حسب حركة الشمس- تكتسب الغصون حيويتها وإشراقها، وتعود خضراء ويانعة من جديد مع أشعة الشمس الساطعة، لتخلق أجواء ربيعية تستهوي

الشعوب التي حولت هذه المواسم الربيعية إلى مهرجانات شعبوية منذ القدم، ولعل من أهم وأشهر تلك المهرجانات ذات الصيت العالمي في هذه الدول:

مهرجانات بلغاريا

تشهد مدينة «كازانلاك» البلغارية انطلاق المهرجان السنوي للورود، الذي ينطلق أول أسبوع من شهر يونيو من كل عام، منذ العام 1903م، ومع انتظامه السنوي أصبح أهم مهرجانات الزهور على مستوى العالم، ويسمى مهرجان «ملكة الزهور»، أو «ملكة الورود»، وهو مهرجان ثقافي سياحي يتخلله عروض موسيقية ومعارض فنية تشكيلية وفعاليات فنية راقصة لطابور طويل من الفتيات المشاركات في المهرجان، الذي ينتهي بفعالية اختيار ملكة الجمال البلغارية من كل عام، وتدعى «ملكة الورود».

وتشير التقارير إلى أن بلغاريا تنتج 75% من الزهور في السوق العالمية، وتتميز الزهور والورود البلغارية باحتوائها على كميات كبيرة من زيت الزهور، ويرجع ذلك إلى المناخ الديناميكي المتنوع الناتج عن تمركز موقعها في نقطة التقاء البحر الأبيض المتوسط، والكتل الهوائية القارية، وتأثير حاجز جبال البلقان وجبال التراقي وردوب التي تحيط بواد يسمى وادي الورد، وهو أشهر واحات إنتاج الورود في العالم، بفضل تلك الجبال التي تحمي مشاتل وروده المتراقصة حول الجداول العذبة، والأراضي الخصبة والأمطار الغزيرة التي تتساقط في مايو ويونيو من كل عام، وينتج الوادي 85% من زيت الورود على مستوى العالم، وتشهد مواسمه حضور المئات من النساء الحاملات سلال الورد يقطفن الزهر يدوياً ليسوقنها لتجار مدينة «كازانلاك» التي تعتبر مركز تصنيع زيت الورد في البلاد.

مهرجانات الصين

في الصين تتعدد المهرجانات الزهرية الموسمية على مستوى مقاطعات البلاد، وتتميز مهرجانات الورود والزهور في الصين بانطلاقها من معتقدات راسخة بتقديس الزراعة والجمال وحب الطبيعة، لذا تتميز الصين بتعدد مسميات المهرجانات الزهرية، وفقاً لمسميات الزهور، فهناك مهرجان سنوي مخصص لزهور الخزامى التي بدأت بعض مقاطعات الصين زراعتها منذ ستينيات القرن الماضي، وهناك المهرجان الدولي لزهور الخوخ في بكين، حيث يقام سنوياً ما بين منتصف إبريل ومنتصف مايو من كل عام، وفي فبراير من كل عام يقام مهرجان دولي شهير لزهور البرقوق المتفتحة في جبل زهور البرقوق في ضاحية مدينة ناجينغ، أهم مدن مقاطعة جيانغسو شرقي الصين، ومهرجانات أخرى لا يتسع المقام لتعدادها.

مهرجانات أمريكا

في الولايات المتحدة الأمريكية تتعدد مهرجانات الورود، لعل من أهمها مهرجان الورود السنوي الذي بمدينة الورود الشهيرة «بورتلاند» التابعة لولاية أوريغون، وتقع في المدينة «الحديقة العالمية لاختبار الورد»، وتنظم المدينة مهرجان الورد في شهر يونيو من كل عام، ويشهد المهرجان ثلاثة مواكب استعراضية تكرس الأبعاد الثقافية والتقاليد

الموصولة بالاحتفاء بالورود، كما يشهد المهرجان- الذي يقام منذ 1889م- حفلات موسيقية ومعرض ورد الربيع السنوي الذي يشارك فيه مزارعو الورد من شمال غربي المحيط الهادئ.

بريطانيا

أما المملكة المتحدة البريطانية فتشهد أقاليمها التسعة مهرجانات تحتفي بالورود والأزهار سنوياً، أما في العاصمة لندن فلا يوجد مهرجان سنوي، بل توجد فيها حديقة «كوين ميري»، والتي تعد متحفاً طبيعياً مفتوحاً أمام السياح على مدى العام، وتتميز بكونها موطناً لأكثر من 12 ألف نوع من أنواع الورد، وتشير أدلة السياحة اللندنية إلى أن الحديقة متحف طبيعي مفتوح على مدار السنة، غير أن أفضل وقت لزيارتها هو الأسبوعان الأولان من شهر يونيو من كل عام.

المغرب العربي

وفي المغرب العربي تقام مهرجانات ورود متعددة خلال السنة، لكن أشهرها مهرجان الكرز (حَبُّ الملوك) الذي يقام منذ عام 1919م بمدينة صفرو المغربية، وفي دورته المائة التي أقيمت في يونيو 2024م، أُطلق على المهرجان شيخ المهرجانات، وتم خلال فعالياته الفنية والثقافية تتويج ملكة جمال المغرب للعام 2024م، بالإضافة إلى مهرجان ورود «قلعة مكونة»، الواقعة في جبال أطلس العظمى، وهو مهرجان موسمي يقام في مايو من كل عام، منذ عام 1962م، ويضج بالألوان الزاهية والروائح العطرة التي تفوح من ورود المنطقة المحيطة بالقلعة، والتي تتميز بإنتاج ما بين 20 و40 ألف طن من الورود سنوياً، وتوفر فرص عمل ومصدر دخل لمئات الأسر المغربية.

حدائق زهرية عالمية

من تلك القيم الثقافية والاقتصادية والبيئية والعطرية والعلاجية، اكتسبت الورود والمساحات الزهرية في العالم أهميتها وقيمتها، وغدت دول العالم تتنافس وتسخّر ميزانيات مليارية للوصول إلى أفضل الرياض الزهرية وحدائق الورود الغنّاء، بل سعى بعضها لتأسيس متاحف فنية طبيعية لعالم الورود، بغية أن تكون وجهة لكبار السياح في العالم من مشاهير التصوير الفوتوغرافي وصناع السينما العالمية الذين يبحثون عن أماكن مذهلة لتصوير أعمالهم، لعل أشهر تلك المتاحف «متحف جون ومابل رينغلنغ للفنون الوردية»، الذي يقع

في ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية، تم تأسيسه عام 1913م، وتمتد أراضي المتحف- الذي يحوي قرابة 1500 نوع من أجود أنواع الورود في العالم- على ضفاف البحر، يضم المتحف قصراً

تاريخياً وصالات مخصصة لحفلات الزفاف والفعاليات التي تقيمها كبريات الشركات العالمية.

ومن أشهر الحدائق العالمية «فالبي بارك» البريطانية في مدينة كوبنهاجن، وحديقة ورود «ذاكر حسين» الواقعة في ولاية شانديغار الهندية، والتي تعد واحدة من أكبر حدائق الورود في العالم، حيث تضم قرابة 50،000 شتلة من الورود بمختلف أنواعها وألوانها، ومجموعة متنوعة من الأعشاب الطبية النادرة، وتجمع حدائق فرساي الفرنسية التي تتخذ مكاناً مهيباً بجوار قصر فرساي الشهير، الذي شيده الملك لويس الرابع، أكثر من 600 نافورة، وأكثر من 370 تمثالاً، وأكثر من 33 كيلومتراً من قنوات المياه المتلألئة، وحدائق «بوتشارت» التي تعتبر واحدة من أبرز الوجهات الطبيعية في مدينة فكتوريا بكولومبيا البريطانية، ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام 1912م عندما قامت جيني بوتشارت، زوجة عامل منجم، بتحويل مقلع حجارة مهجور إلى واحة خضراء ساحرة.

عاش ليروي إحدى مآسي اليمن في ثلاثينيات القرن الماضي

مسعد جميل..

ناجي الأسرة الوحيد من وباء الجدري

في عصر يوم الـ7 من نوفمبر 1953م صعد الشاب مسعد حسن جميل، 25 عاماً، بجسمه النحيل ومحياه الشاحب، على ظهر سفينة تجارية بريطانية في رحلة انتظرها ثمانية أشهر، مضى رواق السفينة بخطوات تشي بالعزم والثبات، ابتسم حين تذكر أول رحلة له من قريته شقران -مديرية قعطبة لواء إب (حالياً تتبع الضالع)- إلى عدن في منتصف 1947م، حيث قطع مسافة 150 ميلاً (241،3 كيلومتر)، مشياً على الأقدام، على مدى خمسة أيام.

استوى بصمت على مقعده في السفينة، فيما الركاب يتقاطرون إلى جواره بوجوه وملامح مختلفة، تساءل في نفسه وهو ينظر إلى تلك الوجوه: هل كل الناس يحملون مثله قصة مؤلمة في حياتهم؟ حدَّث نفسه بأن ذلك ممكن، لكن قصته مختلفة، فهو شاهدٌ على أهم مآسي اليمن، لقد فقد أسرته كاملة، ونجا وأخته الصغيرة ليواجه صنوفاً من المعاناة، لكنه سطَّر فصولاً من النجاحات التي لم تكن في الحسبان... إلى تفاصيل قصته الاستثنائية:

محمد محمد إبراهيم

كان مسعد طفلاً في الخامسة من عمره، حين لفظ والده حسن جميل أنفاسه الأخيرة بعد معاناة أسابيع من وباء الملاريا. أمسك ذلك الشيخ الخائر قواه بيد أحد أصدقائه هامساً بوصيته له، محملاً إياه العهد بأن يهتم بطفله الرضيع وباقي الأسرة المكونة من ثمانية أشخاص هم (الأب والأم وستة أبناء، ثلاثة ذكور وثلاث إناث)، لكن موت الأب كان بداية لمتوالية فناء الأسرة جميعها، باستثناء «مسعد» وأخته الصغيرة البالغة من العمر- يومها- ثلاث سنوات. لقد مات الجميع وبقي طفلان شُفيا من المرض بعد ذهاب كل ما كانت تملكه تلك الأسرة من بيت وأثاث وثروة حيوانية وأراض زراعية.. يقول الناجي مسعد جميل: «الله يصنع المعجزات التي لا يستطيع البشر فهمها.. كنت أردد هذه المقولة منذ قالها لي صديق والدي (الوصي علينا)، بعد أن أصبحت راشداً وصار عليَّ واجب الاهتمام بنفسي وأختي، كما صار عليَّ واجب تكوين أسرة، وأعيد للبيت الحياة بعد الفناء».

الإبحار من عدن

مع لحظات الأصيل أبحرت السفينة عبر خليج عدن صوب باب المندب، حسب ما تبادر إلى مسامع مسعد، الذي دخل في صمت مصبوغ بالحزن والتأمل

العميقين، وهو يستعيد ذكريات حياة العذاب والأرض والزراعة وسنوات القحط التي دفعت بالكثير من الناس للهجرة. تذكر كيف اهتدى إلى تاريخ ميلاده، حيث أخبره والده أنه طلب من فقيه الجامع يوم ولد مسعد أن يكتب على حاشية أحد المصاحف تاريخ ميلاده، وفعلاً حين سأل الفقيه بحث وعاد له بهذه العبارة: «إنه في تاريخ 15 يونيو 1928م ولد الطفل مسعد حسن جميل»، من تلك اللحظة حفظ مسعد تاريخ ميلاده.

دخل الليل، والسفينة تواصل بعزم شق عباب أمواج البحر مجتازة مضيق باب المندب، نام الجميع، وصعد «مسعد» إلى ظهر السفينة متطلعاً إلى السماء والنجوم والبحر، غير أن مشهد المضيق أقام في مخيلته قيامة الذكريات. في ذلك الليل، لمح نفسه

في عز طفولته وعمره في الثامنة، حيث كان في كل صباح- خلال أيام عام 1936م تقريباً- يذهب راعياً خلف الأغنام، وهو يردد الأناشيد المفعمة بالحزن المنساب في مواجيد يُتمه وأسفه الكبير مع أصوات تتهادى في الهضاب والشعاب والحقول البعيدة، من شُبَّابة الرعاة (ناي المراعي)، وهو في أعلى قمة جبل عرام، كان يذهب المرعى صباح كل يوم ليعود في وقت الغروب، ولا أحد ينتظره سوى أخته التي أصغر منه، وحدهما من نجيا في زمن الكارثة. لا يعرف شيئاً عن أسرته سوى أنه يتذكر أحاديث والده ووصاياه التي كانت تنمُّ عن ذكاء رغم أميَّته، كان يحكي قصصاً عن الكوارث التي تُفني الأُسر، ووحده الرجل من يتحمل مسؤوليته تجاه الأسرة بعد موت رب الأسرة. لقد كان والده فلاحاً ميسوراً بالأراضي الزراعية والمواشي، حيث يملك 150 رأساً من الأغنام، وثورين قويين لحراثة الأرض، وبقرتين، كما كانت أسرته تعيش الاكتفاء الذاتي من الأرض والمواشي، وكان منزل والده يعتلي جانباً من جبل «عرام»، وما يميزه أنه كان حصيناً، به صهاريج المياه ومخازن الحبوب (مدافن صخرية) كفيلة بتخزين الغلال من عام إلى آخر في السنين العجاف.

تذكر كيف أن فشله في الحصول على عمل في عدن، أجبره على العودة من عدن قبل ست سنوات- من لحظة سهره الطويل على ظهر السفينة- ليكون أكثر التحاماً بالأرض والزراعة، ومحاولته وأخته استعادة الحياة في البيت، وزراعة أراضي والده قبل الكارثة. وفيما بدأ المنزل يستعيد الحياة، وكان «مسعد» على وشك الزواج عاد القحط والجفاف مفسداً على الناس جهودهم وتعبهم على مدى مواسم متتابعة، مُجبراً العشرات على الهجرة، ليقرر مسعد في أوائل الخمسينيات الهجرة ثانية إلى عدن.

وبعد سهره الطويل خَلَدَ مسعد إلى النوم في ظهيرة اليوم الثاني، ثم فقد الإحساس بالزمن في البحر، ولم يعد يتذكر سوى توقف السفينة في ميناء بورتسودان، الذي يقع شمال شرقي السودان على ساحل البحر الأحمر، لإنزال مسافرين وبضائع، ثم واصلت إبحارها صوب الإسكندرية، كما لم يتذكر عدد المحطات التي مرت به، ولا عدد أيام إبحارها إلى أحد موانئ المغرب، لكنه يتذكر أن السفينة أبحرت من ميناء آسفي بالمغرب صوب إسبانيا بعد تناقص ركابها المتجهين نحو أمريكا إلى عشرين مهاجراً عربياً، فمرت بكثير من الجزر والسواحل ثم المحيط الأطلسي وصولاً إلى أمريكا.

معضلة اللغة وفرج الصدفة

في 29 نوفمبر 1953م، وصلت السفينة إلى ميناء ولاية بوسطن الأمريكية، وحينها صعد ضابط الهجرة المختص في الميناء إلى السفينة لفحص أوراق المهاجرين العشرين من بلدان مختلفة. تمت الموافقة على دخولهم ما عدا ثلاثة عرب، أولهم «مسعد»، لقد تم تأجيلهم إلى اليوم الثاني حتى حضور المترجم بسبب عائق اللغة.

عاش مسعد لحظات قاسية من الانتظار، في الوقت الذي نفدت نقوده. يقول مسعد في كتيب أصدره تحت عنوان (حياتي) باللغة الإنجليزية عن سبب تلك الضائقة المالية: «عند حصولي على التأشيرة في عدن أحضر وكيل السفريات لي واثنين من أصدقائي تذاكر السفر بحراً، فأعطاني وكيل السفريات مبلغاً قدره (12) دولاراً، ساعدني أحدهم بالأمتعة إلى

ظهر السفينة، وأردت أن أعطيه دولاراً واحداً، ولكني ارتكبت خطأ وأعطيته عشرة دولارات، وبقي معي دولاران».

وفي ساعات الانتظار تذكر الفتى «مسعد» كيف عاد إلى عدن بعد ست سنوات، بمساعدة قريبين له، أحدهما في عدن كان من أسرة بني جميل، والثاني في إنجلترا (صهره مصلح) (أخو زوجته) كان يعمل بحاراً، وكان له بمقام الأخ والسند، لقد ساعده في تكاليف الزواج، وساعده في الحصول على تأشيرة الهجرة إلى أمريكا، وكانت وجهته الأولى صوب فيتنام، لكنه أخفق في ذلك، فكان عليه الانتظار في عدن حتى يحصل على تأشيرة، وقد حصل عليها بمساعدة صهره في عام 1953م، ولكنها تأشيرة إلى فيتنام. «ولسوء الحظ أن الفرنسيين الذين كان المفترض أن نسافر معهم غادروا دون أن نلتحق بهم بسبب نفاد التأشيرات».

تذكر مسعد خسارة تلك الفرصة بضيق، فكان يتحرك على ظهر السفينة الراسية في الميناء، لفت انتباهه مشهد مدينة بوسطن المدهش، مبانٍ كبيرة، ومهابة حَضَرية تلوح للناظر من بعيد، ابتسم أمام ذلك المشهد قائلاً في نفسه: إن الخير في ذلك التأخير الذي كان بمثابة فرصة أفضل لأن يقف أمام هذا المشهد من عمران أرض الأحلام (أمريكا).

في اليوم الثاني حضر ضابط الهجرة ومعه المترجم، وتمت الموافقة على دخول المهاجرين الثلاثة العرب إلى أمريكا، ولكن عبر رحلة بحرية جديدة على السفينة نفسها إلى موانئ نيويورك، لكن صعوبات جديدة ظهرت بمجرد رسو السفينة.

يقول الحاج مسعد جميل: «عندما رست بنا السفينة فحَصَ موظف الهجرة أوراقنا مرة أخرى، وسألنا عن وجهتنا، فأخبرناه أننا متجهون إلى «كانتون أوهايو». غير أن موظف الهجرة أخبرنا أن السفينة محجوزة بشكل كامل، وأن علينا التواصل بأحد في نيويورك ليساعدنا، فقلنا له: جمعية العرب الأمريكيين في بروكلين، فاتصل بهم بينما كنت واقفاً إلى جانبه قائلاً: «لدينا ثلاثة عرب يحتاجون إلى مساعدتكم، هل أستطيع إرسالهم إليكم لتتمكنوا من مساعدتهم؟»، وكان الجواب: نعم، فطلب ضابط الهجرة سيارة تاكسي وسجل اسم السائق ورقم التاكسي وأعطاه العنوان».

وأضاف: «وعندما وصلنا بروكلين، كان رئيس الجمعية ينتظرنا في باب الشارع في المكان المحدد، لا أتذكر اسم ذلك الشقيق العربي، لكن جُلَّ ما أتذكره هو أنه دفع للسائق الأجرة وساهم معنا في حمل أمتعتنا إلى حيث مقر الجمعية، وكان فيه مجموعة من المهاجرين العرب، فضيفونا بوجبة عشاء، وأعطونا مبلغاً من المال كمساعدة في حال ضللنا الطريق، وأوصلنا أحدهم إلى محطة القطار، مخبراً السائق أن يوصلنا إلى كانتون أوهايو، وتم التواصل مع أحد المهاجرين السابقين هناك وهو بانتظارنا في محطة وصول القطار في المدينة، وظللنا في كانتون أسبوعين، غير أننا لم نحصل على عمل، فانتقلنا إلى مدينة ينجستاون في الولاية نفسها، للحصول على عمل في مصانع الحديد والصلب، ولسوء الطالع لم يتم ذلك».

مكث «مسعد» في مدينة ينجستاون حوالي شهر كامل، قبل أن يأتيه اتصال من نيويورك من شخص يمني من أبناء منطقته يدعى «سعيد جميل» (لم يكن من الأسرة رغم تقارب الأسماء)، سمع باسمه من أحد أعضاء المهاجرين العرب، فعاد «مسعد» إلى بروكلين ليبحث له عن عمل أو يستضيفه حتى مارس 1954م، وهو ما تم فعلاً، حيث انتقل مسعد بعد ذلك

إلى ولاية كاليفورنيا للعمل في إحدى المزارع التي يعرفها «سعيد».

وحسب ما ذكره الحاج مسعد جميل في كُتيِّبه (حياتي)، فقد عمل في مزرعة محصول الهليون (أحد المحاصيل الغذائية، ويُعدُّ من أطعمة الحمية الرئيسة، خاصة للمصابين بأمراض الكبد والكلى)، لكنه عانى من صعوبات كبيرة، لأن زراعة الهليون تقتضي طُرقاً معقدة وجهداً عضلياً وجسدياً كبيراً، فانتقل بعد شهر أو شهرين للعمل في مخيمات العنب حتى نهاية الموسم في آخر سبتمبر عام 1954م، ورغم ما كان يلاقيه مسعد من تعب إلا أنه اقتطع جزءاً من وقته المسائي للدراسة والتعليم.

عاد «مسعد جميل» إلى بروكلين- نيويورك، للمرة الثانية، ليواصل الدراسة، فسمع صدفةً بوجود وظائف في لكوانا في نيويورك، فسارع للذهاب والتقديم ليعمل من أول أسبوع في مصانع بيت لحم للصلب، لرجل أعمال أمريكي من أصل فلسطيني، وفوجئ مسعد جميل بوجود نحو مائتي عامل يمني، حيث يقول في هذا السياق:

«عملت في مصانع بيت لحم للصلب حتى نهاية عام 1960م، وفي ذلك الحين اشتريت بقالة في «بفلو» بقيمة 2700 دولار، وكان المحل فارغاً إلى حد كبير من البضاعة، فقمت بتوفير البضائع المطلوبة، وشغَّلتُ سيدةً كان لديها خبرة في البقالة، بينما كنت أذهب- خلال إجازة أخذتها لستة أشهر عن العمل- إلى مستودعات أخرى لأتعلم من خبراتهم التجارية». وأضاف: كان هدفي من الإجازة هو التأكد من إمكانية تَحَسُّن عملي الخاص. وعندما وجدت أن المستودع أصبح قوياً أوقفتُ وظيفتي، ورفضت العودة لها، رغم أن أرباب العمل عرضوا عليَّ 10،000 دولار مقابل العودة إلى العمل، لأن العمل التجاري كان يصعد بشكل جيد جداً.

العودة إلى اليمن

ظلت فكرة العودة الى اليمن تحاصر الشاب مسعد، حيث يقول: «كنت خائفاً على حياتي، فهداني الله إلى تفكير عقلاني يصبُّ في تحقيق أمنياتي أن تكون لي أسرة أكافح وأجدُّ من أجلها، وتكون لي سكناً وسنداً في مستقبل عمري وشيخوختي، فقررت العودة إلى اليمن، والحمد لله تزوجت وأنجبتُ أبناءً، وصار لي أحفاد».

قبل عودته إلى اليمن للزواج كان «مسعد جميل» قد ساهم بفاعلية ومسؤولية في تأسيس جمعية الجالية اليمنية الخيرية عام 1958م في بفلو، وبعد عودته من اليمن بأسرته، وبعد استقراره في لكوانا، كرس جهوده لخدمة أبناء الجالية اليمنية، إلى جانب أعماله ومشاريعه الخاصة، كما ساهم في بناء المساجد والمدارس الخاصة بأبناء الجاليات الإسلامية في وطن المهجر، وكان أحد مؤسسي الجمعية اليمنية الأمريكية (اكسس) في 2005م، وشغل رئيساً لها حتى عام 2008م.

حج وعمرة

حتى منتصف التسعينيات كان الحلم الوحيد الذي لم يحققه مسعد جميل، هو أداء فريضة الحج والعمرة له ولأسرته، لقد راوده ذلك منذ طفولته المحفوفة باليتم والحزن والأسى، يقول مسعد: «في يوم من أيام طفولتي كنت على قمة جبل عرام، أرعى الأغنام، فاستعذبت تكرار تلبية الحجيج التي حفظتها من الناس مرات ومرات، حتى بكيت من حر الشوق الى الديار المقدسة لأداء الحج والعمرة لي ولأسرتي، وها هو الحلم يصبح حقيقة».

كيف تحمي بطاقتك المالية من الاختراق الإلكتروني؟

في عصر الثـــورة الرقمية، أصبحت البطاقات الذكية مثـــل الفيزا كارد (Visa Card) وماســـتر كارد (MasterCard) وأمريكان إكسبريس (American Express) أدوات ماليـــة لا غنى عنها، حيث تجرى من خلالها المعاملات المالية بســـهولة وأمان، ســـواء في المتاجر أو عبر الإنترنت، أو عبر عمليات الســـحب النقدي في جميع أنحاء العالم.

ولأن هذه البطاقات تحتوي على شـــريحة إلكترونية تُخزن المعلومات المالية للمســـتخدمين، فقد أصبحـــت هدفًا مغريًا للقراصنـــة الإلكترونيين، الذين يسعون لاســـتغلال ثغرات الأمان لســـرقة المعلومات المالية أو الاحتيال على المستخدمين. ومع تزايد حالات القرصنة على هذه البطائق، صار من الضرورة القصوى أن يتعرف العملاء الماليون على وســـائل وأساليب القراصنة على هذه البطاقات، ليتمكنوا مـــن اتخاذ التدابير الممكنة لحمايـــة بطاقتهم الذكية وإحاطة بياناتهم المالية بالأمان.

اسكندر عبدالله الحكيمي

البطاقـة الذكيـة عبـارة عـن قطعـة بلاسـتيكية، تحتـوي علـى شـريحة إلكترونيـة مشـفرة، تُسـتخدم لتخزيـن بيانات المسـتخدمين المالية، وتختلف هذه البطاقـات عن الأنظمة التقليدية التي تعتمد على الأشـرطة المغناطيسـية، حيـث تقدم مسـتويات أمـان أعلى مـن خلال تقنيـات مثل: التشـفير الديناميكـي، الـذي يُنتـج رمـوزًا مؤقتـة فريـدة لـكل معاملة. ومن بين أشهر أنواع البطاقات الذكية المسـتخدمة عالميًـا Visa Card التـي تعتـبر مـن أكـثر البطاقات شـيوعًا وتتميـز بتقنياتها المبتكـرة في الأمان، و Master Card التـي تعتبر منافسـا رئيسـاً لفيـزا، وتُسـتخدم في ملايين المتاجـر وأجهـزة الصـراف الآلي، أما بطاقـة American Express فتركـز على خدمات العملاء وبرامج المكافآت، مع تغطية واسعة في أمريكا الشمالية. كمـا أن هنـاك بطائـق أخـرى، مثـل Discover Card وهي بطاقة شائعة في الولايات المتحدة، تقدم مزايا تنافسية للمسـتهلكين، وبطاقـة Union Pay الصينية التي تنتشـر بشـكل كبير في آسـيا وأجزاء أخرى مـن العالم، فيما تستخدم بطاقة JCB التي تعني Japan Credit Bureau بشـكل رئيسـي في اليابان، مع امتداد دولي محدود.

طرق الاختراقات ونتائجها

إن أخطر وسـائل وأسـاليب القرنصة على البطاقات الذكية، تتمثل في:

- سـرقة بيانـات البطاقـة باسـتخدام أجهـزة: Skimming إذ يقوم المهاجمـون بتثبيت أجهزة صغيرة على أجهزة الصراف الآلي أو نقاط البيع لنسخ بيانات البطاقـات أثنـاء اسـتخدامها، ما يُمكنهم من إنشـاء بطاقات مزيفة وإجراء معاملات غير مصرح بها.
- الاحتيـال عـبر الإنترنـت Online Fraud: حيـث يسـتغل القراصنـة مواقـع إلكترونيـة مزيفـة أو تطبيقات خبيثـة لخداع المسـتخدمين للإفصاح عن بيانـات بطاقاتهـم، هذا النوع مـن الاحتيال يُعد من أخطر التهديدات التي تواجه البطاقات الذكية.
- اخـتراق الأنظمـة المصرفيـة: قـد يسـتهدف المهاجمـون الأنظمـة المصرفيـة التي تخـزن بيانات الملايـين مـن البطاقـات، مما يـؤدي إلى تسـريبات ضخمة كمـا حدث في اختراق بيانات شـركة Target عام 2013.
- الهجمـات على تطبيقات الدفع عبر الهواتف: مع انتشار تطبيقات الدفع مثل Apple Pay وGoogle Pay، تصبح بيانـات البطاقات المخزنة على الهواتف هدفًا للهجمات الإلكترونية.
- الهجمات باسـتخدام البرامـج الضارة: Malware عبر هـذه الطريقة يسـتخدم المهاجمـون برمجيات خبيثـة للوصول إلـى بيانات البطاقـات المخزنة على الأجهزة أو الأنظمة المصرفية.

طرق حماية البطاقات الذكية:

إن معرفة الطرق والأساليب التي يستخدمها القراصنة للوصول إلى البطاقات الذكية يوجب على العميل طرق الحماية التي من أبرزها:

- استخدام بطاقات بشريحة ذكية تسمى EMV ويُفضل استخدام البطاقات التي تعتمد على تقنيات الشريحة الذكية والتشفير الديناميكي، حيث تُعد أكثر أمانًا من البطاقات التقليدية.
- مراقبة الحسابات المصرفية بانتظام: إذ يجب مراجعة كشف الحساب البنكي بشكل دوري لاكتشاف أي معاملات غير مصرح بها.
- استخدام كلمات مرور قوية وآمنة: وفي هذا السياق ينصح باستخدام كلمات مرور معقدة وتفعيل ما يعرف بالمصادقة الثنائية لحماية الحسابات المرتبطة بالبطاقات.
- تجنب الشبكات العامة عند إدخال بيانات البطاقة: يُفضل استخدام شبكات آمنة عند إجراء عمليات الدفع أو التسوق الإلكتروني.
- الإبلاغ عن فقدان البطاقة أو أي نشاط مشبوه فورًا: في حالة فقدان البطاقة أو الاشتباه في عمليات غير مصرح بها، يجب إبلاغ البنك فورًا ليتم إيقاف البطاقة.

إجراءات البنوك وشركات الدفع العالمية:

تعمل البنوك وشركات الدفع الكبرى، مثل فيزا كارد ومستر كارد على تطبيق تقنيات متقدمة لضمان أمان بطاقات عملائها، ولعل أبرز تلك الإجراءات منها:

- استخدام الذكاء الاصطناعي لرصد الأنشطة المشبوهة وتحليلها.
- تعزيز التشفير الديناميكي لحماية بيانات المستخدمين.
- توفير خدمات التنبيهات الفورية للمستخدمين عند إجراء أي معاملة.
- التعاون مع الحكومات والمؤسسات الدولية لمكافحة الجرائم الإلكترونية.

ثلاثية المسؤولية- الفرد والمؤسسة والحكومة

في ظل الاعتماد المتزايد على البطاقات الذكية، مثل الفيزا كارد والماستر كارد، لتلبية احتياجات الحياة اليومية، أصبحت المخاطر المرتبطة بالاختراقات الإلكترونية واقعًا يجب مواجهته بجدية، كما أن التحديات لا تقتصر على الأفراد فقط، بل تشمل أيضًا المؤسسات المالية التي تواجه ضغوطًا مستمرة لتطوير تقنيات أمان متقدمة. وفي الوقت نفسه، يتحمل المستخدمون مسؤولية كبيرة في حماية بياناتهم المالية من خلال الالتزام بالمحاذير الأساسية، مثل استخدام شبكات آمنة، وتجنب مشاركة المعلومات الحساسة، ومراقبة الحسابات بشكل دوري. ومن جهة أخرى، تلعب البنوك وشركات الدفع دورًا أساسيًا في تعزيز الأمان الرقمي من خلال تطبيق تقنيات حديثة، مثل التشفير الديناميكي والمصادقة الثنائية، والاستثمار في أنظمة الذكاء الاصطناعي للكشف المبكر عن الهجمات.

وللحكومات دور محوري في تعزيز التشريعات المتعلقة بحماية البيانات المالية ومكافحة الجرائم الإلكترونية، من خلال فرض معايير صارمة على المؤسسات المالية، يمكن من تقليل المخاطر وتحقيق بيئة مالية أكثر أمانًا.

أخيراً

إن النجاح في مواجهة هذه التحديات يعتمد على التعاون الوثيق بين الأفراد، المؤسسات المالية، والحكومات. التوعية، الاستثمار في الأمان، واتخاذ الإجراءات الوقائية هي المفاتيح لضمان حماية البطاقات الذكية من التهديدات الإلكترونية، مما يضمن للمستخدمين راحة وأمانًا في التعامل مع أموالهم. البطاقات الذكية هي المستقبل، ولكن يجب علينا جميعًا أن نكون على استعداد لمواجهة التحديات المصاحبة لها بحكمة ووعي.

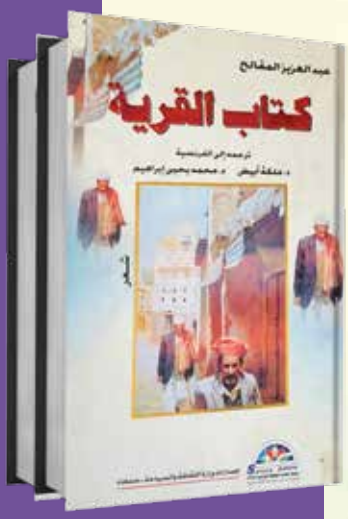

«كتاب القرية» لـ«عبد العزيز المقالح»..

إحالة راقية إلى قيم الانتماء للريف اليمني

يحتل المكان -بثنائية القرية والمدينة- قلب الحضور اللافت في الأعمال الشعرية لشاعر الحداثة العربية الراحل عبدالعزيز المقالح، غير أن ديوانه الشعري «كتاب القرية»، الذي صدر عن دار رياض الريس للكتب والنشر 2000م، يعد إحالة راقية إلى قيم الانتماء للريف اليمني.

لأن القرية بالنسبة للمقالح تمثل مخزوناً زاخراً بقيم المجتمع الفاضل المتساوق تناغمه بين فطرة الإنسان وإيقاع الطبيعة، على عكس المدينة التي تكرس باتساع عوالمها المخرسنة مزيداً من العزلة بين عناصر المجتمع الحضري الواسع، باستثناء مدينة صنعاء التي تربعت على عرش الحضور الشاعري في كثير من أعمال المقالح.

مدير التحرير

في ديوانه الشعري «كتاب القرية»، الذي تُرجم أيضاً إلى اللغة الفرنسية، وطُبع ضمن إصدارات «صنعاء عاصمة الثقافة العربية 2004م»، رسم شاعر اليمن الكبير عبدالعزيز المقالح باللغة مشاهدَ شعريةً تصويريةً باذخةً، جاعلاً من القرية محوراً موضوعياً لتحليق القصيدة، ومرجع ذلك يتمثل في كون الريف اليمني هو مكان النشأة الأولى للشاعر المقالح، ما يجعل الولوج إلى حضور القرى في تجربته الشعرية وفضاءاتها المدهشة، يشكّل سفراً فكرياً وسياحة تأملية، خصوصاً إذا ما أخذنا في الاعتبار فترة الطفولة التي قضاها المقالح في الريف، وأهميتها في تكوين شخصيته الشاعرة ذات الحضور المحلي والعربي والعالمي، وتميزه بإرادة «أن يبدو كبيراً منذ البداية»، حسب شهادة عابرة لتجربته من صديقه الشاعر اليمني المعروف الراحل عبدالله البردوني.

وُلد المقالح شاعراً بالفطرة، وعانق كتابة القصيدة على مدى ستة عقود، دون أن يتنكر أو يتخلى عن حقيقة انطلاقه من بيته الريفي في (قرية المقالح- مديرية النادرة- محافظة إب)، وهو المنزل الذي شكّل العامل الأهم في ولادة تجربته الشعرية المترعة بموسيقى الوجود الصادرة عن الطبيعة. وحتى بعد أن بلغ حضوره الإبداعي آفاق الجغرافيا العالمية، ظل معتزاً بحقيقة انتمائه للريف بوصفه المهد الأول للجمال، ليدوّن المقالح ذلك المعنى العظيم، في نسقٍ من الكتابة التشكيلية والتجسيدية لمشهد ذلك المنزل المدهش، حيث قال في قصيدة له بعنوان «بيتٌ في الريف»:

«**لي بيتٌ في الريفِ**،

مساحتُه بضعةُ أمتارٍ،
وله بابٌ من خشبِ الطَّلحِ،
نوافذه تحملني كلَّ شروقٍ
نحو جبالٍ عالقةٍ بالشمسِ،
وآكامٍ تغمسُ ماءَ أصابعها في بلّورِ العشبِ،
وتختالُ بشالِ نَسَجتهُ النَّسَماتُ من الضوءِ
الأخضرِ».

القرية بوصفها منبع الإبداع

وفي «كتاب القرية» احتفى الشاعر العالمي المقالح بمقومات التآلف والتقارب والتعايش بين سكان القرية عبر 77 لوحة من الشعر التصويري المتميز بكونه من السهل الممتنع، حيث يعرِّف القرية في «اللوحة الأولى» قائلاً:

«مثل صفصافةٍ لا تغادرُ أوراقَها
تستقيمُ على جبلٍ باذخٍ
وتمدُّ يديها لتمسحَ عن جبلٍ آخرٍ
غيمةً..
تلك قريتُه
مثل موالٍ اصطدمَتْ
بشظايا من الضوءِ أنغامُهُ
وهوى ريشُهُ
فاستقرَّ على الأرضِ مستجمعاً ذاتَهُ».

وفي اللوحة الرابعة من «كتاب القرية» يذهب المقالح إلى أنسنة أحجار المنازل، والألفة بينها والسكان، فيقول:

«للحجارةِ ذاكرةٌ
للمكانِ حضورٌ وروحٌ به
يتذكَّرُنا مثلما نتذكرهُ
يقاسمُنا لذَّةَ العيشِ فيه
يشاطرُنا لوعةَ الافتراقِ».

وفي اللوحة الشعرية السادسة والسبعين، يرسم المقالح مشهداً بالغ التعبير عما ألحقه عصر الفولاذ والحديد والضوضاء بسكينة القرية، وكيف استفزت ذلك القروي شاحنة حديثة عليها جندٌ من الغرب (إشارة لزمن الاستعمار)، فوثب يتحداهم على فرسه، لكن الشاحنة داست ذلك الريفي بعجلاتها بلا رحمة،

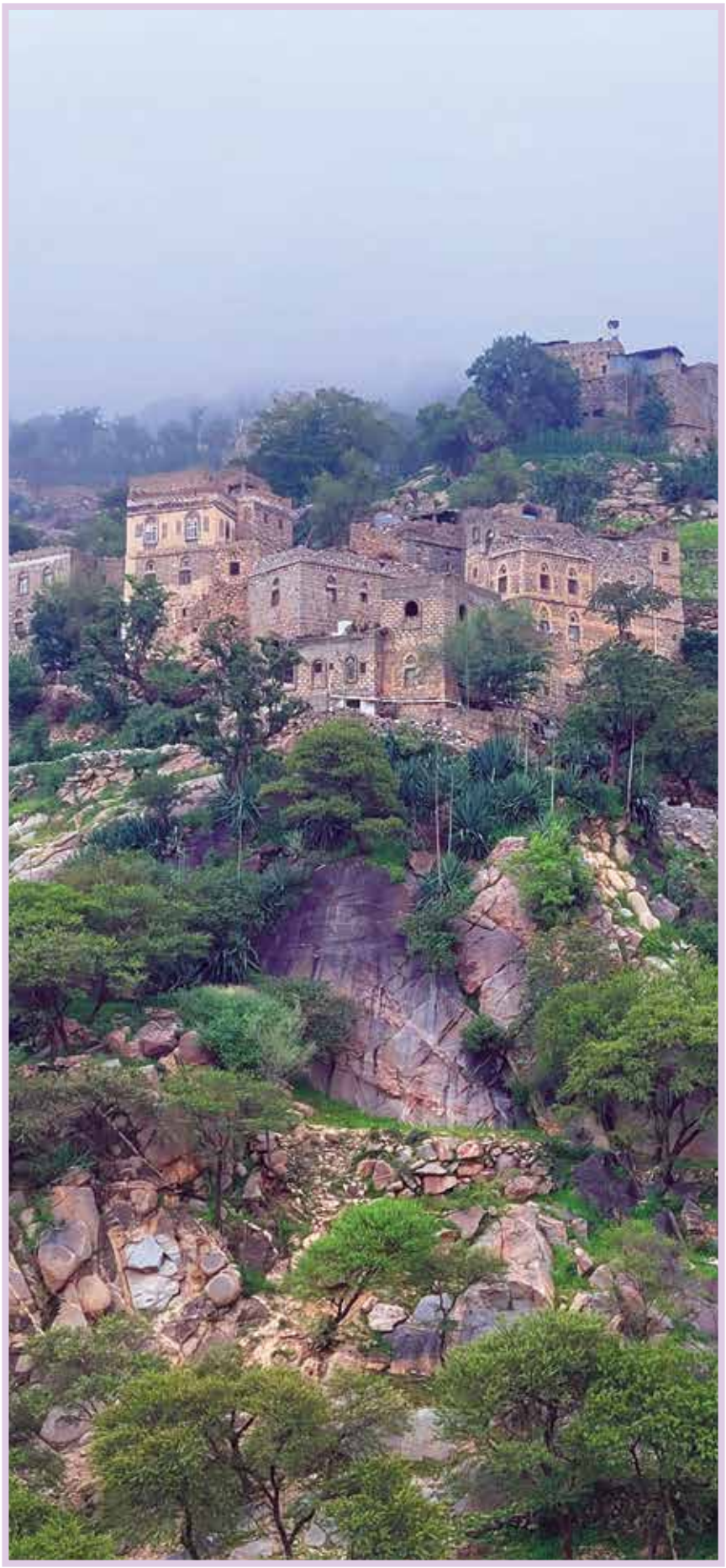

فيحشد المقالح لحظتها القرى التي تتداعى حزناً على ذلك الريفي فيقول:

«بَكَتْهُ السَّواقي
وقالت: كان هذا الذي يتغطَّى بأكفانه
رجلاً مورقاً بالحياة
ومتشحاً بالمروءة والحب
للأرض والناس
لا يسألُ الخيرَ للأقرباء وللغرباءْ».

حضور القرية في الأعمال الشعرية لم يقتصر على كتاب القرية، ففي ديوانه «بلقيس وقصائد لمياه الأحزان» الصادر عن وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، أهدى الشاعر المقالح قصيدة بلقيس إلى قرية «سَحَر»، وهي إحدى قرى مديرية سنحان التابعة لمحافظة صنعاء، حيث قال:

«هي من هذه الأرض
معجونةٌ بأساطيرها
وبأحزانها،
ولها من جمالِ السُّهولِ
ومن كبرياء الجبال،
ولم تنحدر من سماء الخرافات
أو هطلَتْ ذات صبحٍ مع الغيم،
ما زال شُبَّاكُ منزلها مورقاً
بالأحاديث
واللَّفتات،
وأصداءُ ضحكتها كسلاسلَ من ذهبٍ
تتفتَّحُ كالضَّوء عبر الزَّمان،
ترنُّ،
تزيلُ الغبارَ عن الرُّوح
واللُّغة المتعَبَةْ».

المدينة.. محاولة كسر العزلة

وللمدينة حضورٌ كبيرٌ في أعمال المقالح الشعرية، ففي كثير من نصوصه وقصائده الشعرية حاول المقالح كسر العزلة التي يعيشها مجتمع المدينة بوصفها العالمي، فركّز على قضية أنسنة المدن وترويض عوالمها المخرسنة، لكسر حدة العزلة والمادية المطلقة في مختلف مدن العالم التي زارها، وفي هذا السياق أنجز المقالح في «كتاب المُدُن» جداريات شعرية غنائية عن (مكة، القاهرة، أثينا، الإسكندرية، روما، دمشق، بغداد، القيروان، مراكش، طنطا، وهران، باريس، برلين، فينّا، لوقانو، واد مدني، القدس، عدن، تعز، صنعاء)، لكن

أجمل القواسم المشتركة بين المدن:

«مُدُنُ الأرض مثل النساء،
ومثل البحيرات،
غاضبةٌ صَلِفاتٌ،
هنا مدنٌ في عراء الجنونِ،
هنا مدنٌ من صفاء السكونِ،
وخلف المدى مدنٌ
لا تثير اشتهاء الكلام،
ولا ترتقي في كتاب الهوى،
لتكون كما جئتها وردة أو قصيدة».

صنعاء.. المدينة الاستثناء

من كل مدن الأرض التي طافها وأفصح فيها عن إحساسه بالموت الغالب على مشاهدها العصرية، استثنى المقالح مدينة صنعاء، التي تجلت في أعماله الشعرية مفعمة بمعاني الحياة والجمال والتعلق بها في حله وترحاله، فجعلها خاتمة الأسفار، رافضاً مغادرتها منذ عودته أواخر سبعينيات القرن الماضي، ليؤكد كثيراً في جداريات المدن التحامه الجسدي والروحي بصنعاء، حيث قال معبراً عن ذلك التعلق:

«جسدي يتنقَّلُ
بين البلاد الكثيرةِ
والروح واقفةٌ عندها».

إلى أن يقول:

«صنعاءُ سيدتي
وملاكي الطَّهورَ
وحارستي؛
سامحيني
إذا كان قلبيَ
أشرَكَ غيرك في حبه،
وتواطأ في لحظاتٍ من العُمرِ
مع فاتناتٍ من الشرق والغربِ
مع سيداتٍ من الوطن العربيّ؛
فقد كنتِ أول حب له،
فهو مجنون صنعا
وعاشقها في زمان الجفافِ
وعاشقها في زمان المطرْ».

كما شكلت صنعاء قطباً محورياً في تجربة المقالح الشعرية، فكان ديوان «لا بد من صنعاء» باكورة أعماله الشعرية، حيث صدر عن الدار الحديثة للطباعة والنشر- بيروت، عام 1971م، ومن قصائده «مواجيد مغترب» التي يقول فيها:

«صنعاءَ تدعوني مواسمُها
وعواصفُ الأشواق تعصرني
أنا أنت في حزني وفي فرحي
أنا أنت في صحوي وفي وَسني
حاولت أن أنساكِ فانطفأت
طرُق الهوى في سائر المدنِ».

ولم يكتف المقالح بذلك، بل أفرد لها ديواناً شعرياً كاملاً، أسماه «كتاب صنعاء»، صدر عن دار رياض الريس للكتب والنشر 2000م، وهو الديوان الذي وصف فيه صنعاء بـ«عاصمة الروح»، فانتشر المسمى وأصبح على كل لسان، وفي خواتيم أعماله الشعرية باهى بها مدن الأرض، حيث أفرد لأوصافها ومعانيها الجميلة والجليلة ديواناً شعرياً أسماه «الشمس تتناول القهوة في صنعاء القديمة»، الذي صدر عن دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت 2017م.

العمارة الحجرية في ريمة..

ترويض الطبيعة لخدمة الإنسان

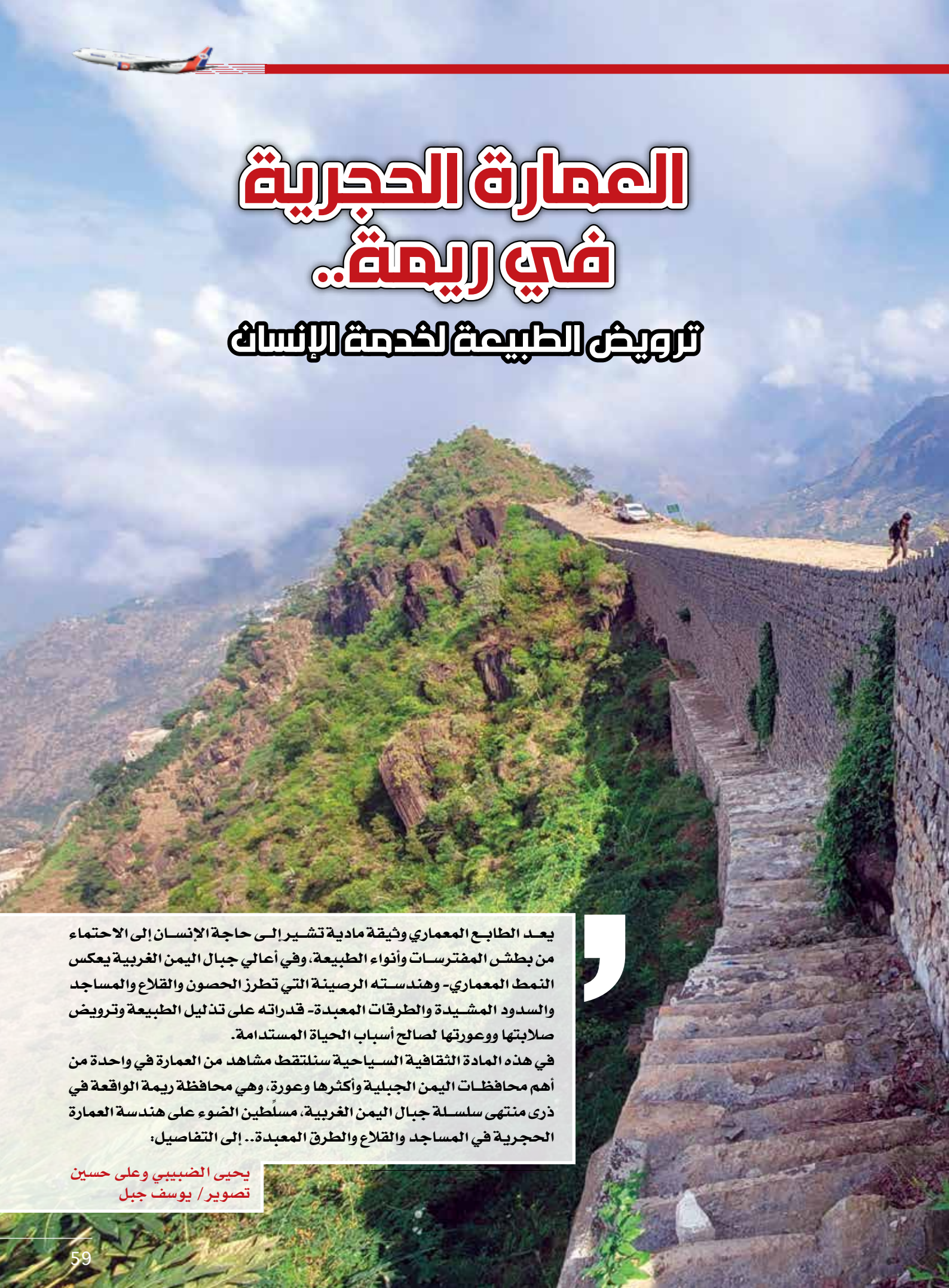

يعد الطابع المعماري وثيقة مادية تشير إلى حاجة الإنسان إلى الاحتماء من بطش المفترسات وأنواء الطبيعة، وفي أعالي جبال اليمن الغربية يعكس النمط المعماري- وهندسته الرصينة التي تطرز الحصون والقلاع والمساجد والسدود المشيدة والطرقات المعبدة- قدراته على تذليل الطبيعة وترويض صلابتها ووعورتها لصالح أسباب الحياة المستدامة.

في هذه المادة الثقافية السياحية سنلتقط مشاهد من العمارة في واحدة من أهم محافظات اليمن الجبلية وأكثرها وعورة، وهي محافظة ريمة الواقعة في ذرى منتهى سلسلة جبال اليمن الغربية، مسلِّطين الضوء على هندسة العمارة الحجرية في المساجد والقلاع والطرق المعبدة.. إلى التفاصيل:

يحيى الضبيبي وعلى حسين
تصوير/ يوسف جبل

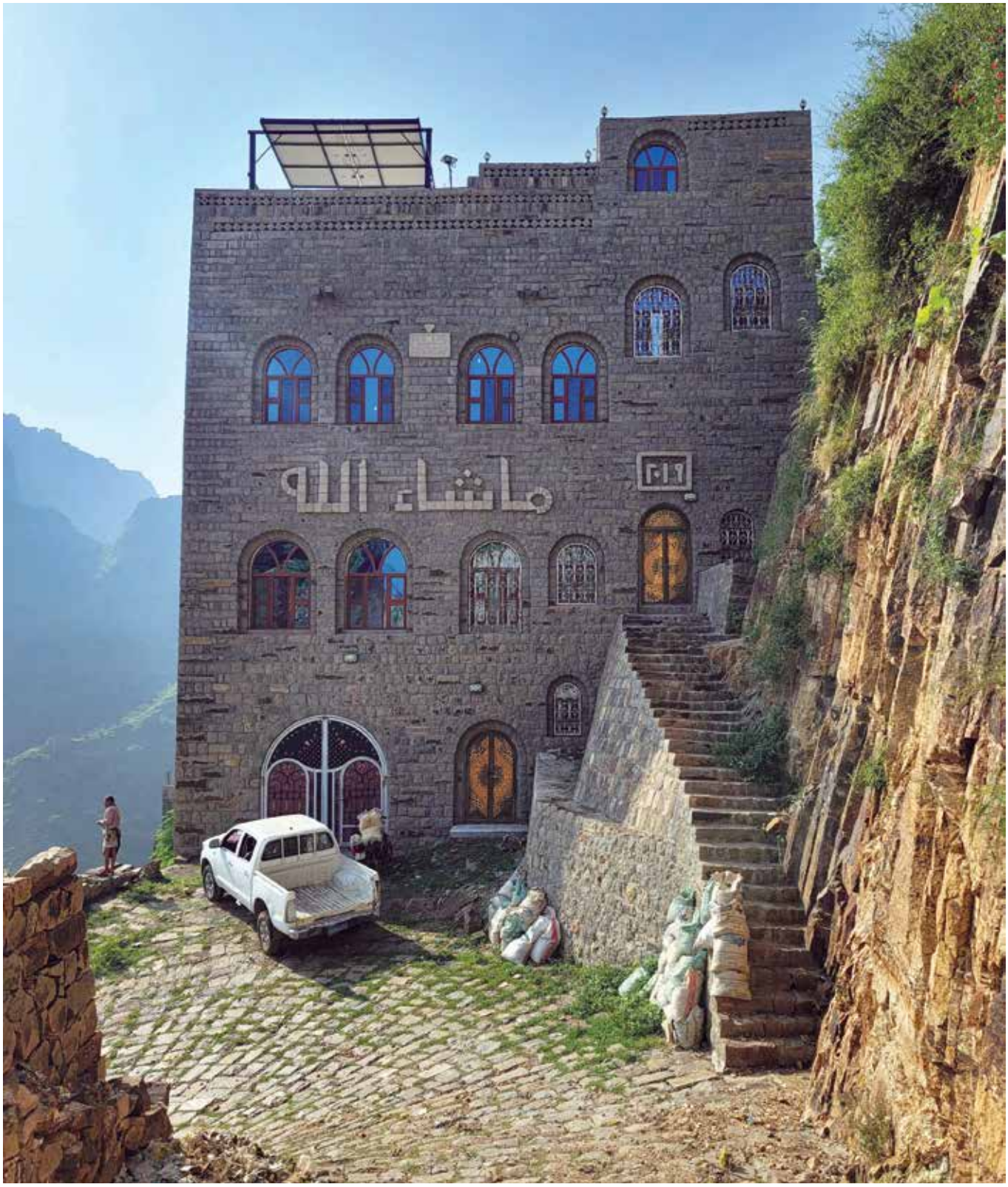

تشتهر محافظة ريمة بجبالها الشاهقة الارتفاع والشديدة الانحدار المتماوج المُشَكّل للسفوح المتسعة والتلال الممتدة على قاسم مشترك من تعدد أسباب الحياة في تلك الطبيعة رغم صعوبتها.

وعندما تجوب القرى تجد نفسك أمام مشاهد عمرانية تتحدث عن صمود الأجداد وقدرتهم على التكيف مع الظروف الطبيعية الوعرة، فبنوا بمعارفهم البسيطة القلاع والحصون المنيعة التي تعكس تاريخاً من الحروب والغزوات والأنواء الطبيعية، فاكتسبوا تجارب معمارية أفضت إلى فكر هندسي معماري جامع بين البساطة الشكلية، والفاعلية العملية في تأمين الإنسان أمنياً، عبر احتواء الحصون والقلاع على أبراج مراقبة دقيقة ومداخل ومخارج آمنة، وغذائياً، عبر اشتمالها على مخازن للمؤن وصهاريج للمياه، وهو ما يعزز إيمانك بأن كل حجر في مشهد العمارة في ريمة يحكي قصة من مثابرة وإبداع الإنسان، وكل

منزل يروي تاريخاً من كفاحه على مختلف مناحي الحياة.

السبق في هندسة العمارة

وقبل أن يُصبح مفهوم الاستدامة الحضرية في العمارة رائجاً عالمياً، كان السكان المحليون في محافظة ريمة يُطبقونه عملياً في هندسة العمارة الحجرية على قمم الجبال وصدور السفوح وأنكاب التلال، حيث صُممت المنازل لتكون صديقة للبيئة عبر استخدام مواد البناء المحلية، وإعادة تدوير الموارد المحلية. كما أن التصميم المعماري يُراعي المناخ، فالجدران السميكة تعزل الحرارة والبرودة الشديدة، والأسقف الخشبية والحجرية العالية تخفف درجة الحرارة بما توفره من تيارات باردة، ما يجعل تلك المنازل الحجرية ملائمة للعيش في كل الفصول، حتى أسطح المنازل (أسقفها) لا تستخدم كغطاء للمنزل، بل تعد بعناية لتلبي احتياجات السكان اليومية والموسمية اقتصادياً، عبر استخدامها كمساحات لتجفيف المحاصيل الزراعية بعيداً عن المواشي، والاجتماعية بما تمثله من فضاءات تُستخدم للتجمعات العائلية في الصباحات الصيفية والربيعية الخضراء، والمساءات والليالي الحارة.

الأسقف الحجرية

تميزت الأسقف الحجرية في ريمة بقدرة فنية فذة على تشكيل الهياكل المتقنة التي تبقى ثابتة رغم مرور الزمن، كما أن القدرة على استخدام الزخرفة والنقوش الحجرية بطريقة استثنائية كانت تعكس الذائقة الفنية العالية لهؤلاء الحرفيين. تلك النقوش التي كانت تزين الأسطح والأعمدة والجدران لم تكن مجرد تفاصيل جمالية، بل كانت تعبيراً عن فلسفة حياة وأيديولوجية اجتماعية وثقافية، وانعكاساً لسليقة هندسية معمارية متأصلة تتوارث عبر تقادم أجيال السكان المحليين، وتصقلها حاجة الإنسان المتناغمة مع المكان وموارده الطبيعية، والزمن عبر تطور وسائل وأساليب الحياة المرتبطة بالعمارة.

كما تأخذ العمارة في جبال ريمة شكلاً فريداً ومميزاً في مظهرها الخارجي وفي تلويناتها، لكن ما يجعلها علماً واحترافاً ويكسبها خصائص مذهلة هو أسلوب البناء الذي يأخذ طابع التعقيد من خلال التداخلات الهندسية بين الجدران ودعامات أسقفها الحجرية، وترابط بنيانها في المنشأة الواحدة، ولم يقتصر استخدام الأسقف الحجرية على المساجد والقلاع، بل امتد ليشمل التسقيف بالأحجار للبرك وصهاريج الحبوب (المدافن) ومخازن الأعلاف التي تبنى تحت طبقات التربة الخصبة في قِطَع الحقول في المدرجات الزراعية.

مسجد «بنو زياد»

في عزلة بني زياد، مديرية كُسْمَةْ (جنوب محافظة ريمة)، أبدع أحد الحرفيين المهرة (الأساطية) في تشييد مسجد حجري فريد من نوعه، ولم يكتفِ ببنائه الحجري الرصين، بل توج البناء بسقف حجري من أحجار البناء الجرانيتية نفسها، حيث ينهض من وسط المسجد عمود حجري ضخم رباعي الأضلاع، وباتساق موحد حتى نقطة معينة في الارتفاع،

ثم تتفرع من قمَّته ثمانية أقواس حجرية، بواقع قوسين من أعلى كل ضلع من أضلاع العمود الذي يبدو كجذع شجرة ضخمة تدلت أغصانها لتتكئ على الجدران في هيئة عقود حجرية نصف دائرية، جعلت مشهد السقف كهيكل حجري لمظلة بديعة التناسق الجمالي، وتمت تغطية الفراغات بين العقود بأحجار مستطيلة الشكل طويلة مهذبة بمقاسات دقيقة يتم رصها وترتيبها عرضياً، وسد الثغرات في ما بينها وطلاؤها باللون الأبيض، ما أضفى على السقف جمالاً آسراً.

ووفقاً لاستطلاع ميداني نفذه الباحث أحمد لطف العطاب، ونشرته مجلة «الإكليل» الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث عام 1986م، فإن هذه المهارة الفريدة الصعبة والدقيقة- من وجهة نظر باحثي العمارة- تفصح عن علم وعن تأريخ عريق لنمط العمران الذي لا تزال شواهده وهندسته قائمة في محافظة ريمة، وفي كل مناطق اليمن إلى اليوم.

الأهم في ما نشرته مجلة الإكليل، أن هذا المشهد الإبداعي للسقف الحجري في مسجد بني زياد، مديرية كُسْمَة، تكرر كثيراً ضمن دراسة ميدانية تفصيلية شملت 26 موقعاً أثرياً، زارها الباحث العطاب في الخمس النواحي (المديريات) التي كانت تشكل قضاء ريمة- سابقاً- (كُسْمَة، السلفية، الجبين، الجعفرية، بلاد الطعام).

قلعة الواقدي..
أشهر القلاع الحجرية

على قمة شاهقة في مديرية الجعفرية بمحافظة ريمة، تبدو قلعة الواقدي- التي تعد أحد أهم البنايات الضخمة المبنية بالأحجار، بما في ذلك الأسقف- كأنها تاج من الحجر يزين جبال المنطقة، وتُحيط بها الغيوم كوشاحٍ أبيض، وتسرد بصمتها الشامخ تاريخاً ضارباً في العصور، لمعمار يمزج بين القوة والجمال، ويُعبر عن عبقرية الإنسان اليمني في تطويع الطبيعة لخدمته، وتتألف من أربعة طوابق مبنية بإتقان ومسقوفة بالأحجار ضمن تكثيف هندسي وجمالي شديد الإدهاش والفرادة، ولم تشترك مع الأحجار أية عناصر إنشائية أخرى في هذا البنيان الضخم، حيث المداميك الواسعة والمتينة (جدران حجرية سميكة)، وتنسيقات للنوافذ والأبواب العقود الرئيسة الحاملة لأسقف طوابق القلعة الثقيلة من الصخور الضخمة التي تم رصفها وعمارتها بعناية فائقة لتقاوم تقلبات الطبيعة عبر العصور، وفي تصميم هندسي يُثير الدهشة، وكأنه تحدٍّ مفتوح لقوانين الجاذبية.

أما الأحجار أو الصخور الداخلة في بنيان القلعة، فتسمى «صلول وصِلال»، ومفردها «صلالة وصلة»، وهي أحجار كبيرة مختلفة الأحجام، مستطيلة ومربعة وطويلة، وهذا النوع من الأحجار النادرة لا يتوفر إلا في مديرية الجعفرية، وتحديداً في عزلة بني واقد، التي تتميز جبالها بوجود هذه الصخور بتشكيلاتها العمودية المستطيلة والمربعة وذات المقطع الصخري الطويل، التي يمكن لعمال قطع الأحجار انتزاع أي عمود من هذا الصلال بالطول الذي يريدون، وذلك باستخدام طريقة الفكفكة التي تعتمد على الصَبِير الطويلة (قضبان حديدية

طويلـة)، حيث يتم فصل العمـود الحجري من الأعلى عن بقية الأعمدة الحجرية التي تلاصقت بشـكل فني فريـد، بحيث تكـون مرصوصـة كالأخشـاب الواقفة بتناسق رأسـي، كما لو أن يداً قد رتبتها بإتقان وشكّلت منها هذا الجبل بكامله.

الأهم في هذا السـياق أن بناء قلعة الواقدي لم يعتمد فقـط على هذا النوع من الصخور، بل تم انتقاء أحجار أخـرى بعناية ومن مناطق عدة، وجلبها واسـتخدامها في عمارة القلعة مـن الأحجار التي تم رتقها ببعضها، وسد الفواصل بينها بمادة محلية تعرف بـ«القضاض» لمنع تسرب المياه من الجدران والأسقف الحجرية.

أما الطريق إلى القلعة فقـد تم رصفها حجرياً بعناية وفـق مسـارات بديعة، مـن أسـفل الجبل حتـى بوابة القلعة الرئيسـية التي يلتقي تجويف سقفها الحجري المهيب الارتفاع والاتسـاع، ليشـكل نفقاً مفتوحاً تعبر منه السـيارة من يمين القلعة إلى يسـارها، وفي أسفل القلعـة يوجـد خزان ماء فسـيح يتسـع لـ 1200 متر مكعـب بطـول 20 متراً، وعرض 6 أمتـار وبارتفاع 6 أمتار، وتخلل طوابق القلعـة الأربعة حجرات ودواوين ومطابخ وحمامات وصالات طعام، إضافة إلى طيرمانة في الأعلى تثير الدهشة.

ويتجلـى للناظـر أن بنيـان القلعـة ينطـوي على نوع مـن التعقيـد الهائل والمجازفـة والمخاطـرة، فهذه الأطنان الصخرية الضخمة يجب أن تتأسـس هندسياً على أرضية صخرية شـديدة الصلابة، لأن أي ارتخاء بسـيط في الأسفل سـيؤدي إلى انهيار كارثي لكل هذا البدن الثقيل والهيئة العمرانية الرصينة التي جمعت بيـن البنـاء القديـم بأشـكاله الهندسـية، وترتيباته الكلاسـيكية، وبيـن البنـاء الحديـث المـزدان ببريق لمعان البـلاط، فيما تزدان جدرانها بنقوش حجرية تظهـر أشـكالاً متشـابكة مـن المثلثـات الحجريـة، وعبارات مكتوبة، صُمِّمت بأسـلوب فني يعكس الجمال البصـري، مما يُبرز قدرة الإنسـان علـى صنع التوازن بين الضرورة الهندسية والذوق الجمالي.

وتعتبـر قلعـة الواقـدي التـي يمتلكها الشـيخ داود صغيـر الواقدي، واحدة من أبرز المعالم السـياحية فـي محافظة ريمة، حيث يقصدهـا الزوار على مدار سـاعات اليوم، ويتجولـون داخل حجراتهـا وأدوارها الأربعـة، ويلتقطـون الصـور التذكاريـة، ويتمتعون بالرؤية من سطح القلعة الرابضة في أعالي الجبال، مسـرحين أبصارهم على مشـاهد نـادرة وفي أجواء مدثرة بالغيوم.

طرقات حجرية

هندسة العمارة الحجرية في محافظة ريمـة امتـدت إلـى تعبيـد ورصـف الطرقات عبر محطـات التاريخ، حيث كانـت تعبَّـد وتُـدَرّج لقوافـل الجمال والبغـال، وكانـت الطرقـات الحجرية أساسـاً أصيلاً لتطور فنون العمارة في جبال ريمة الشـاهقة، وفي زمن السـيارات والمركبات وشـاحنات نقـل البضائع إلـى أعالي الجبـال صارت الطرقـات المعبـدة بالحجـارة ضـرورة وظيفية، لما تتميـز به مـن متانـة إذا جرت هندسـتها وفق أسـس ومعايير دقيقة وأساسـات صلبة، كمـا هو حال طريق (اللمهيـل) التـي شـيدها أهالي قرى (العنـم، نعمة، ويفـوز، وجبل ظلملـم، وبني القحوي) فـي عزلة بني

الجعد التابعة لمديرية الجعفرية، في مشروع تعاوني عظيم ذاع صيته عبر وسائل الإعلام المحلية والعربية، وتم إنجازه بمبادرة ذاتية من المجتمع المحلي في القرى المذكورة، وحظيت المبادرة بدعم من رجال الأعمال والمغتربين من أبناء تلك المنطقة.

القيمة الأكثر أهمية أن المشروع أخرج تلك القرى المعلقة كأعشاش طيور على رؤوس الجبال وحواف المنحدرات الخطرة «الحيود» من عزلتها، في ظل اعتقاد راسخ لدى أهلها ولدى كل من يصل إلى المكان بأنه يستحيل وصول الطريق إليها، غير أن السكان المحليين بسواعدهم الفتية وفي إطار تلك المبادرة المجتمعية، استطاعوا إنجاز طريق حجري جَسَر منحدرات الجبال ومنحنياتها الخطرة وبطول 6 كم، وفق عمل عمراني اعتمد على نحت الجبال الصخرية في بعض الأماكن، وفي بعضها الآخر تم تشييد جدران ساندة من جهتي الطريق ليستوي خط سيرها بعد إلغاء الانحناءات العميقة بين الجبال بجدران ساندة يصل ارتفاعها في بعض الأماكن إلى 10 أمتار، فيما بلغ أطول الجدران الساندة أو الحاملة للطريق الذي بات يعرف اليوم بـ «سور ريمة» أكثر من 120 متراً، في واحدة من العمليات الإنشائية المذهلة، في مسار الإعجاز العمراني الذي يتمتع بالمتانة والقوة، حيث تمضي على امتداد سطح بنيانه مركبات النقل بمختلف أحجامها، بما في ذلك الشاحنات الضخمة، وصولاً إلى قرية «نُعمة» كمحطة أخيرة في أعالي جبال المنطقة التي يستطيع الناظر منها- ليلاً- أن يرى بالعين المجردة مدينة الحديدة بأنوارها الساطعة، وأن يرقُب زرقة البحر في الصباحات الصافية.

بدأ العمل في المشروع قبل ثلاث سنوات، ولا يزال قائماً بلا كلل ولا ملل وبأيادٍ وخبرات محلية، وفي السادس عشر من سبتمبر 2021م، ابتهج أهالي المنطقة بوصول أول سيارة إلى قرية نُعمة، لم يكن ذلك مجرد حدث عابر، بل كان إعلاناً عن انتصار الإرادة على صلابة الجبال وتحديات الإمكانيات المادية. ووسط الضباب الكثيف، وتحت ظلال الجبال الشاهقة، انطلقت الزغاريد وتجلت البهجة، فهذه ليست مجرد طريق، بل رمزٌ للحياة والأمل.

واليوم يقف جسر ريمة العظيم شاهداً على عبقرية الإنسان وقدرته على تطويع البيئة لتخدم احتياجاته، دون المساس بجمالها، في حكاية فنية تحمل في تفاصيلها مزيجاً مذهلاً بين التراث والابتكار. وما يميز جسر ريمة عن غيره يتجاوز قيم الاحتياج الضروري الوظيفي والعملي، إلى رصانة وإبداع الأسلوب الهندسي الفريد الذي ينسجم بسلاسة مع تضاريس المنطقة الوعرة خاصة، والبيئة عامة، فيبدو للناظر وكأنه جزء من جمال الطبيعة، وليس هيكلاً دخيلاً عليها.

خلاصة القول: إن «الحديث عن فن العمارة في ريمة، بجمال أسقفها الحجرية وزخارفها الفريدة، وهندسة إبداعها، وجمال اتساقها وتكييفها مع ظروف الطبيعة، هو استحضار دقيق لروح حضارة ضاربة جذورها في عمق التاريخ، ولا تزال تقدم للعالم صفحات من الإبداع الإنساني الذي واجه تحديات الطبيعة وحوَّلها إلى لوحات ناطقة بالجمال والابتكار والتكامل القيمي وظيفياً وجمالياً».

مسافرات

«انتقائية الطعام» لدى الأطفال

السفر برفقة طفلك الرضيع

مواقع وتطبيقات التواصل الاجتماعي في حياتنا

تنمر الأطفال

أعد الملف: بهية محمد - هبة نعمان

السفر برفقة طفلك الرضيع..

نصائح وإرشادات

يعدُّ السفر جواً برفقة طفلكِ الرضيع تجربة تفرض عليك تحديات من نوع خاص، لكن قيامك بالتخطيط والتحضير الكافيَين، ومعرفتك بالإرشادات الطبية الخاصة بالسفر، في هذه الفترة التي تتسم بالخصوصية والحساسية بالنسبة للرضيع، سيضمن تجربة سفر ممتعة تدوم ذكرياتها مدى الحياة.

قد تسمح شركة الطيران لطفلك الرضيع بالسفر في حضنك مجاناً، لكن هذا الأمر لن يحقق لك ولرضيعك سفراً مريحاً وهادئاً، وهو ما تقوله العديد من تجارب السفر بالنسبة للمرضعات، ولذا ينبغي عليك شراء واختيار مقعد مناسب لرضيعك، ويفضل أن يكون بجوار النافذة، في حين يمكن اختيار مقعد بجانب الممر لسهولة الوصول إلى الحمام. ومن شأن هذه الخطوة كما تقول نصائح طبية، أن توفر أماناً أكثر، كما توفر الراحة والمساحة الكافية والخصوصية أثناء الرضاعة.

مقعد مناسب وجدولة الرضاعة

تشدد النصائح الطبية أيضاً، على مراعاتك لتوقيت الرضاعة، والحرص على جدولة جلسات الرضاعة أثناء الإقلاع والهبوط، لأن ذلك سوف يساعد في تخفيف آلام الأذن لدى الرضيع نتيجة لتغييرات ضغط المقصورة، وللأهمية القصوى قومي بإعطاء طفلك الرضيع الكثير من السوائل للشرب، وخذي معك ما يكفي من زجاجات الشرب (بيبيرونة) ومن الغذاء المعتاد.

وتوصي «فيكي»، إحدى المدونات الشهيرات في السفر والسياحة ومؤسسة مجلة Honest Mum بأنه أثناء حجز الرحلة أو في المطار، يمكنك اختيار المقعد المناسب في الصف الأول في الطائرة، بما أن طفلك أقل من عامين أو أقل من 12 كيلوغراماً، ويمكنك طلب سرير صغير لنومه ويساعدك في تركيبه أحد أفراد طاقم الضيافة، وتجنبي الصفوف الأخيرة من الطائرة لأنها أكثر ضجيجاً وازدحاماً. كما يلزمك باستخدام حقيبة سفر خفيفة لا تعيق حركتك، ويفضل حقيبة الظهر لتتمكني من استخدام يديك في حمل طفلك، وتحوي الكثير من الحفاظات والمناديل المبللة.

أدوات إسعاف أولية

وتشدد «فيكي» على تجهيز أدوات الإسعافات الأولية، مثل ميزان الحرارة، ودواء خافض الحرارة، ومضاد القيء والغثيان، كما توصي لراحة طفلك أن تختاري له ملابس قطنية مريحة من طبقات متعددة، لأن درجات الحرارة في الطائرة تتباين من وقت لآخر، فيمكن لطفلك الاستغناء عن طبقة من الملابس في أي وقت، ولا يفضل ارتداء الملابس السميكة التي تقيد الحركة.

تضيف المدونة: «يجب عليك استخدام ساتر الرضاعة الطبيعية، فبعض السيدات يشعرن بالحرج من استخدامه، لذا ستحتاجين إلى رضعات من الحليب الصناعي، ويفضل أن تعدّي كل كمية في حينها حتى لا يفسد الحليب بسبب اختلاف درجات الحرارة، وإذا لم تتمكني من الصعود للطائرة بزجاجة مياه نظيفة، فاطلبي من طاقم الضيافة كمية المياه المطلوبة من زجاجة مغلقة، وليس من مياه الطائرة المعتادة لتجنب تعرض الطفل لنزلات معوية».

وسادة التغيير

يحثُّ موقع «أبغريديد بوينتس» - الذي يقدم توجيهات ونصائح للأمهات أثناء السفر مع أطفالهن- على وجوب الحرص على جلب وسادة التغيير، وكوب الشرب عند وجود أطفال رُضع، بالإضافة إلى معقم اليدين، وأكياس إضافية لنفايات الطفل.

ونوَّه بالقلق الذي ينتاب الكثير من الأمهات من السفر مع رضيع، بسبب احتياجات الرضيع العديدة، وبسبب الخوف من تعب السفر، وخاطب الأمهات: «في الحقيقة السفر مع رضيع، وخصوصاً في الطائرة، أمر لا يدعو للتوتر والقلق، كل ما تحتاجين إليه هو التنظيم المسبق، والحصول على احتياجات الطفل الرضيع في السفر لكي تتفادي أي مفاجآت، وأي إجهاد».

«انتقائية الطعام» لدى الأطفال..

ما يجب أن تعرفه الأمهات

تصطدم الكثير من الأمهات بمزاج انتقائي لأطفالهن تجاه ما يُقدَّم لهم من الأطعمة، غير أنهن لا يلاحظن باهتمام كبير المتغير السلوكي الغذائي لأطفالهن، والذي يُعَرِّفهُ اختصاصيو التغذية بـ«انتقائية الطعام»، ويشخصونه كواحدة من المشاكل المتعلقة بصحة ونمو الأطفال.

و«انتقائية الطعام»، وفقاً للاختصاصيين، تعني عدم الرغبة بتناول لائحة طويلة من أنواع الطعام، وغالباً ما تكون عند الأطفال في السن الذي يبدأون فيه بالمشي، حيث تقل سرعة النمو وتقل الشهية». فيما تؤكد الدراسات أن ما يقارب 20-50 % من الأطفال، في هذا السن، يصفهم أهلهم بأنهم انتقائيون في تناول الطعام.

وفي سن المشي أيضاً، يبدأ الطفل بـ«تطوير قائمة الطعام المفضلة عنده، لكنها عادة ما تكون متقلّبة، فالطعام الذي كان مفضلاً لديه بالأمس قد يرفض تناوله غداً، والعكس، وقد يستمر لأسابيع بتناول نوع واحد أو نوعين فقط من أطعمته المفضلة ويرفض تناول غيرها».

اسباب الانتقائية الغذائية

تتعدد أسباب انتقائية الأطفال للطعام، فبعضها يتعلق بحساسيتهم الكبيرة من روائح وملمس الأطعمة، وقد يرتبط بعضها بعدم اكتمال وظائف الهضم، بينما البعض الآخر يتعلق بتقليد آبائهم وأمهاتهم في تناول الأطعمة وانتقائها، ومن أسباب الانتقائية الغذائية عند الأطفال قيام الأهل بمعاقبتهم أو مكافأتهم على عادات الطعام لديهم، أو الذين يتم إجبارهم على تناول طعام معين، فتتأصل في هذه الحالة انتقائية بحدود الأطعمة المسموح بها.

لكن دراسة مسحية وتحليلية بريطانية حديثة، أظهرت نتائجها أن «ميل الأطفال للأكل الانتقائي يتأثر بشكل

كبير بالعوامل الوراثية عبر جميع الأعمار، مع تأثير بيئي يظهر بشكل واضح خلال مرحلة الطفولة، وتشير هذه النتائج إلى أن التدخلات المبكرة قد تكون فعّالة في الحد من هذه السمة»، فمثلاً «يمكن أن يساعد التعرض المبكر لمجموعة متنوعة من الأطعمة في تقليل انزعاج الطفل المرتبط بالأكل».

شيوع وتطور الانتقائية

وطبقاً للدراسة، فإن «الأكل الانتقائي، أو صعوبة الإرضاء عند تناول الطعام، هو ميل الطفل لتناول مجموعة محدودة من الأطعمة، ورغم أنه شائع بين الأطفال الصغار، إلا أن هذه العادة قد تستمر حتى مرحلة البلوغ، خصوصاً في البيئات التي تشجع على التنوع الغذائي، مثل المدرسة أو التجمعات الاجتماعية أو حتى في المنزل».

وقد سعى باحثون إلى دراسة تطور الأكل الانتقائي من الطفولة إلى المراهقة المبكرة، وتحليل تأثير العوامل الوراثية والبيئية على هذا السلوك، وشملت الدراسة (3854) طفلاً تم اختيارهم من مجموعة «جيميني»، وهي مجموعة من الأطفال التوأم المولودين في إنجلترا وويلز عام 2007م. تمت متابعة هؤلاء الأطفال لأكثر من عقد من الزمن، حيث بلغ عدد المشاركين (970) طفلاً في سن (13) عاماً. كل ذلك جرى بالاعتماد على استبيانات سلوك الأكل التي أتمها الآباء في أعمار (3 و5 و7 و13 عاماً)، بالإضافة إلى فحص بيانات حول التوأمة، والعمر، والجنس. وكشفت النتائج أن الأطفال الذين كان لديهم ميول أعلى لتناول الطعام في سن مبكرة، كانوا أكثر انتقائية في اختياراتهم الغذائية مع تقدمهم في العمر.

في السياق ذاته، تشير تحذيرات أطباء الأطفال إلى أن انتقائية الطعام، قد تجعل الأطفال يخسرون العديد من الأطعمة المفيدة، كما قد يخسرون الكثير من العناصر الغذائية المفيدة والمهمة للجسم الموجودة في الأطعمة التي يرفضون تناولها، مثل الخضروات والفواكه والبقوليات واللحوم والدواجن، وغيرها.

وبالمقابل يؤكد هؤلاء الأطباء على أنه ما دام نمو الطفل وزيادة وزنه تسير بشكل طبيعي لا يوجد داع للقلق من انتقائية الطعام، لكن في حال وجود مخاوف، وبالأخص عند الأطفال الأصغر عمراً، من أن عادات الطعام قد تؤثر على نموهم وتطورهم، فمن الضروري استشارة أخصائي.

توجيهات وحلول

وقادت هذه الظاهرة الصحية إلى وجود ما يمكن تسميتها بلائحة تتضمن عدداً من النصائح والتوجيهات التي يتفق بشأنها معظم أطباء الأطفال، ويوصون بها الأمهات على وجه التحديد، من أجل التعايش مع انتقائية الطعام. نورد أبرزها وأكثرها أهمية:

1 - في حال لم يكن طفلك جائعاً، لا تجبريه على تناول الطعام، أيضاً لا تحاولي إغراءه أو إجباره على تناول نوع معين من الطعام أو إكمال صحنه، مما قد يسبب مشاجرات على الطعام، وقد يجعله يربط وقت الطعام بالتوتر والإحباط، وأقل حساسية للشعور بالجوع أو الشبع. لذلك، قدمي له وجبات صغيرة، وامنحيه الفرصة ليطلب المزيد من تلقاء نفسه.

2 - قدمي له الطعام يومياً في نفس الموعد، وفي حال كان يرفض تناول الوجبات، يمكنك إعطاؤه وجبات خفيفة غنية بالمغذيات. مثلاً يمكنك إعطاؤه الحليب أو العصير الطبيعي مع الطعام، لكن لا تعطيه ذلك بين الوجبات، حيث أنها قد تشعره بالشبع وتقلل من شهيته.

3 - قد يحتاج الطفل لعدة مرات لكي يأخذ أول لقمة من طعام جديد، وقد يخرجها من فمه مباشرة بعد تناولها، شجعيه على تناول الأطعمة الجديدة عن طريق التحدث عن لون الطعام وشكله ورائحته وملمسه، وليس عن طعمه اللذيذ، وقدمي الأطعمة الجديدة مع الأطعمة المفضلة لديه، واستمري في تقديمها حتى وإن لم يتناولها في البداية، حتى تصبح مألوفة لديه ويتناولها دون ممانعة.

4 - عندما يرفض طفلك تناول وجبة معينة، لا تقومي بتحضير وجبة أخرى له مباشرة، حيث أن هذا قد يعزز من عادات انتقائية الطعام لديه، فقط شجعيه على البقاء على مائدة الطعام حتى إن لم يكن يأكل، واستمري بتقديم الوجبات الصحية والمتوازنة، سواء تناولها أم لا.

تنمر الأطفال..

ظاهرة سلوكية لها أسبابها..

فما حلولها؟

يعتبر التنمر بين الأطفال من أخطر السلوكيات العدوانية اليومية التي نلاحظها في أطفالنا، سواء في الأسرة بين الإخوة الصغار أو الأقارب، أو في المدرسة أو في الشارع، وغيرها. إن هذا التنمر بوصفه سلوكاً عدوانياً يُلحق الأذى أو الألم النفسي أو الجسدي بالطفل الذي يتعرض للتنمر من قبل طفل آخر، سواء كان ذلك التنمر لفظياً عبر الاستهزاء والاحتقار وتوجيه الألفاظ الجارحة والشتائم، أو عملياً (سلوكياً) عبر الشجار بالأيدي والضرب المتعمد، أو غيره.

ولعل الأسئلة الأهم في سياق الحديث عن ظاهرة التنمر تتمثل في: ما هي أسباب هذه الظاهرة؟ وما تداعياتها على أطفالنا نفسياً واجتماعياً وتعليمياً، وما هي الحلول الأيسر إلى الحد منها، أو على الأقل تخفيف أو معالجة تداعياتها على الأطفال؟

أسباب ظاهرة التنمر

تشير الدراسات الاجتماعية الموصولة بتفكيك الظواهر السلوكية عند الأطفال، إلى أن أهم أسباب التنمر عند الطفل تبدأ من طرق التنشئة الخاطئة، وزرع العقد النفسية لدى الطفل، إما بالدلال الزائد وتفضيله على سائر إخوته حتى لا يرى الطفل أحداً من حوله يستحق الاهتمام أو يحق له اخذ هذه اللعبة أو تلك، أو بتعويده على التقريع والعنف اللفظي أو العنف الجسدي، فيخرج من الأسرة إلى المجتمع الأوسع، ثم إلى المدرسة، بسلوكيات مكتسبة من الأسرة.

وأوضحت كثير من نتائج تلك الدراسات أن أهم الأسباب والعوامل الأسرية والاجتماعية الأخرى التي تخلق التنمر تتمثل في العنف الأسري، وعدم استقرار الأسرة (الزوج والزوجة)، ثم أصدقاء الطفولة. ومن الأسباب أيضاً عدم ثقة الطفل بنفسه وإحساسه بالضعف والتهميش، فتتحول تلك المشاعر إلى عدوانية تجاه أقرانه. غير أن باحثي وأخصائيي علم الاجتماع يرون أن هذا السبب يرتبط ارتباطاً سببياً بالأسرة، معتبرين غياب الثقة والإحساس بعدم الأمان لدى الطفل سبباً للتنمر، لكنه نتيجة للتعامل الأسري مع الطفل الذي نشأ على مزيج متعدد من عقد النقص فيحاول إكمال هذه العُقد بالتنمر على الأطفال الآخرين لتعويض شعوره بالنقص. وتبعاً لذلك فإن التنمر عند أطفال المدارس ليس سوى امتداد للتنمر الأسري والاجتماعي المحيط بالطفل، غير أن التنمر في المدرسة يكون أقسى على الأطفال الصغار.

آثار تدل على تعرض الطفل للتنمر المدرسي

ويرى الأخصائيون الاجتماعيون أن أهم علامات تعرض الطفل للتنمر المدرسي، الانطواء والعزلة، تكرار غيابه عن المدرسة دون أسباب، تجنب الحديث عن المدرسة، تدني مستواه الدراسي. وإن كان التنمر جسدياً فقد تظهر عليه علامات ضرب ويرفض الحديث عنها، وعدم الرغبة في الأكل، وفقدان الثقة بالنفس، والكوابيس والمنامات المزعجة، وكذلك من الآثار والعلامات الغضب عند الحوار معه والشعور بالقلق والعصبية والاحتراس الزائد، خسارة الأصدقاء فجأة، أو تجنب مخالطة الناس، ضياع المقتنيات الشخصية أو تعرضها للخراب والتمزُّق، وطلب المال بصفة متكررة، ومحاولة البقاء بقرب البالغين، والشكوى من بعض الأعراض البدنية كالصداع أو المغص.

حلول ظاهرة التنمر

تبدأ حلول ظاهرة التنمر من الأسرة نفسها، حيث بدأت أسباب الظاهرة، وذلك عبر تكثيف برامج التوعية الأسرية والاجتماعية للأسرة والمجتمع في المقام الأول، وذلك عبر زيادة البرامج الإعلامية والمسلسلات الدرامية التي تعالج ظاهرة التنمر، ثم تعزيز برامج التوعية في سياق المناهج الدراسية، خصوصاً في الصفوف الأولى، التي تعد أهم مراحل دمج الطفل في المجتمع، وأيضاً وضع قواعد صارمة للمتنمرين بشكل كبير للحد من تفاقمها، بالإضافة إلى التركيز على مساعدة الأطفال المتضررين من ظاهرة التنمر، عبر تعليمهم طرق الدفاع عن أنفسهم وتعزيز الثقة في أنفسهم وقدراتهم.

وعلى الصعيد التعليمي يجب توفير جو مدرسي يشعر فيه الطالب بالأمان، يسمح فيه بتكوين علاقات إيجابية مع الآخرين، وعقد لقاءات مع أخصائيين نفسيين بهدف إعلام الأسرة المدرسية بخطورة التنمر، ومراقبة الطلاب في مختلف الأماكن التي يتعرضون فيها للمضايقات والتنمر كالحمامات والصالة الرياضية وغيره، وكذلك إحياء المسرح المدرسي وتوظيفه في معالجة هذه الظاهرة.

مواقع وتطبيقات
التواصل الاجتماعي في حياتنا

أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية الذي قد لا يمر يوم، بل لا تمر ساعة علينا دون الرجوع إليها، فقد تجاوزت النظرية الإعلامية التي تقول: وسائل الإعلام جعلت العالم قرية صغيرة، إلى جعل العالم مختزلاً في شاشة لمس بحجم اليد، ومن خلال هذه النافذة نتوحد مع العالم ونتعرف على ثقافات الشعوب بكل سلاسة ويسر، خصوصاً مع تطور تطبيقات ترجمة اللغات، إلى جانب تواصلنا المستمر مع الأهل والأصدقاء.

مواقع التواصل الاجتماعي سلباً وإيجاباً

أصبحت مواقع أو بالأحرى تطبيقات التواصل الاجتماعي ومنصات التراسل الفوري كالفيس بوك وتويتر وواتس وغيرها، عاملاً مؤثراً في حياتنا اليومية، سلباً وإيجاباً. فمن الناحية الإيجابية منحتنا طفرة التطور في مجال التواصل الاجتماع فوائد مفتوحة على كسب المال في الأعمال التجارية والتسويق، وكذلك المعرفة في التعلُّم عن بعد، كما منحتنا فرصة وسرعة التواصل مع الأهل والأصدقاء.

ومن الناحية السلبية صادرت منا الإحساس بالزمن والمحيط الأسري التفاعلي مع بعضنا، فتجد الأسرة في صالة الجلوس مشغولة بالهواتف، كل شخص منعزل عن الآخر، يعيش في عالمه الخارجي الخاص، الطفل في يده آيباد، والأم في يدها هاتفها، والأب بهاتفه، والشاب بهاتفه، ويستمر الحال لساعات طوال.

في سياق إيجابيات وسلبيات مواقع التواصل الاجتماعي، تؤكد «منى العريقي» - معلمة في إحدى المدارس الخاصة - أنها تقضي ثلث يومها فوق هاتفها للتصفح والبحث عن المعلومات التي تحتاجها في عملها كمعلمة، وأيضاً متابعة آخر الأخبار المحلية والعالمية.

علاوة على ذلك، فقد درست الكثير من الدورات المجانية التي تقام عبر بعض المواقع، كدورات الجرافيكس، ودورة الإكسل، وأيضاً بعض الدورات في التسويق والحاسوب الذهني.

فيما تؤكد سماح الشامسي، طالبة ماجستير (مغتربة)، أن لها أكثر من ست سنوات في اليمن وجميع عائلتها في السعودية، وبالرغم من ألم البعد والفقد لهم فقد سهلت مواقع التواصل الاجتماعي لها الاتصال الدائم مع عائلتها وأصدقائها بشكل يومي، وتراهم ويرونها عبر اتصال الفيديو، مما يجعلها تشعر بأنها معهم، موضحة أنها أصبحت تملك حسابات خاصة على مواقع: كالفيسن بوك، وانستجرام، وsnapchat ما ساعدها في التعرف على أصدقاء جدد من عدة جنسيات، ومعرفة ثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما أنها استفادت من تلك الحسابات في البحث عن فرص عمل، حيث أنها عملت في التدريس عن بعد.

أما «جهاد محمود»، صاحبة محل ملابس، فقد لفتت إلى أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في حياتنا، إذ أنها تطلب بضاعتها من مواقع التسوق كموقع علي بابا وshein، كما تروج لبضائعها وتسوّقها عبر منصات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والتويتر والواتس أب بكل سهولة، ودون خسارة المال والوقت .

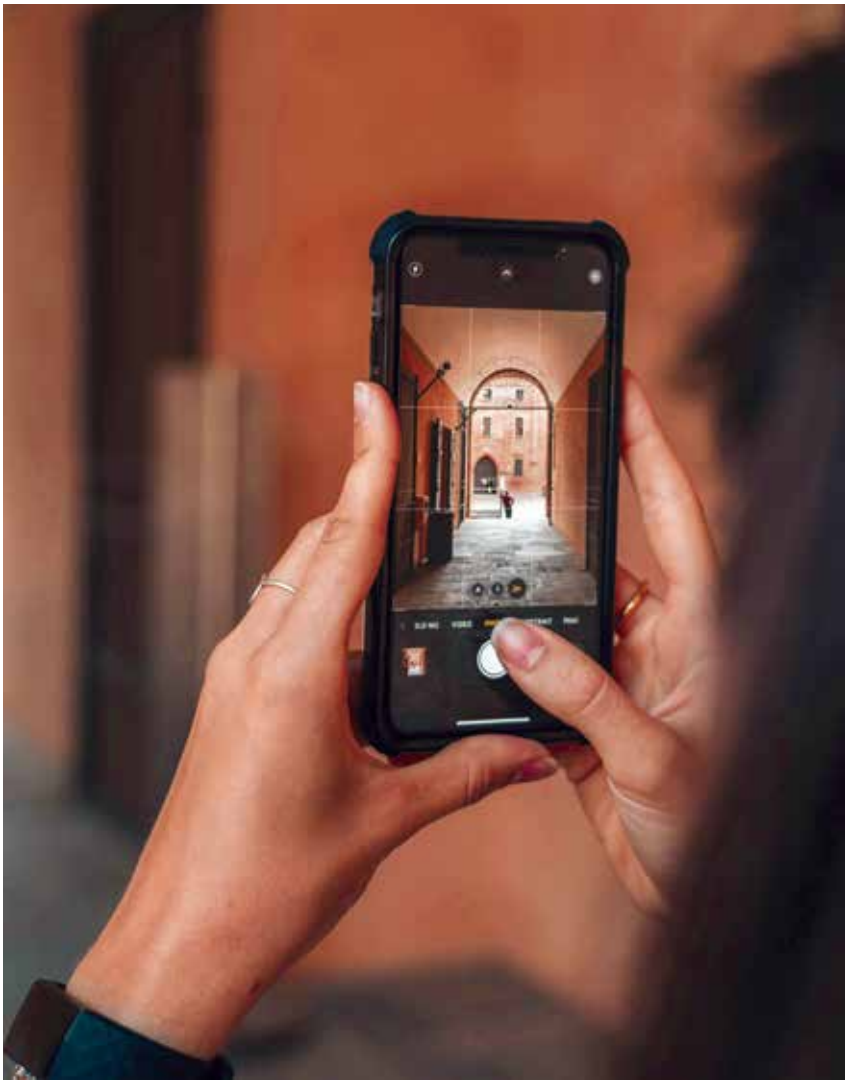

وأكدت جهاد أن منصات التواصل ساعدتها في الوصول إلى عملاء ومستهدفين جدد في كل مكان، وجذبت انتباه المتابعين، ما ضاعف الإقبال على الشراء من محلها التجاري، ورفع نسبة المبيعات لديها. مشيرة إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي ساعدتها على بناء علاقات عمل مع بعض التجار، وشكلت هذه المواقع التواصلية عنصراً حيوياً ومهماً في نجاحها.

الإدمان يخلق العزلة

ومثلما ترتبت الجدوى التي انعكست إيجاباً على تقريب المسافات في حياتنا، أصبح قريبك المغترب في أقصى الأرض قادراً على الاتصال بك صوت وصورة، وكما وفرت لنا مواقع التواصل الاجتماعي موارد المعلومات والمعرفة، فإنها في مقابل ذلك، وفي إطار سيطرتها على حياتنا أصابتنا بالإدمان، فاستحالت إلى خطر حقيقي يكرس العزلة الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة، وقد يعرض البعض للإصابة بالتوحد الوجداني والاكتئاب النفسي، فضلاً عن مصادرتها لقدراتنا الذهنية الموصولة بالذاكرة الحافظة. فحسب الدراسات المختصة بقدرات الفرد على الحفظ فإنه إلى الأمس القريب كان بعض الأفراد ممن شملتهم الدراسات يحفظون أرقاماً كثيرة لهواتف الأصدقاء والأقارب، إلى الحد الذي يجيب بعضهم بأن ذاكرته كانت تستوعب أرقام هواتف دولية وبيانات ومعلومات أكثر، أما اليوم مجرد ضياع هاتفه منه تتعطل عليه الحياة، كما لو أنه فقد الذاكرة.

كل هذا التيه سببه الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي، التي كلما زاد الشخص من استخدامها ازداد لديه الشتات الذهني، والتخلي عن كثير من المسؤوليات الاجتماعية والأسرية تجاه الأطفال الذين صاروا ضحية الإدمان الهاتفي، الذي يوفر لهم مواقع التواصل المفتوحة، بلا حدود، ويوفر لهم تطبيقات الألعاب الإلكترونية.

مدينة جبلة..

عروس الطبيعة وحاضنة التاريخ

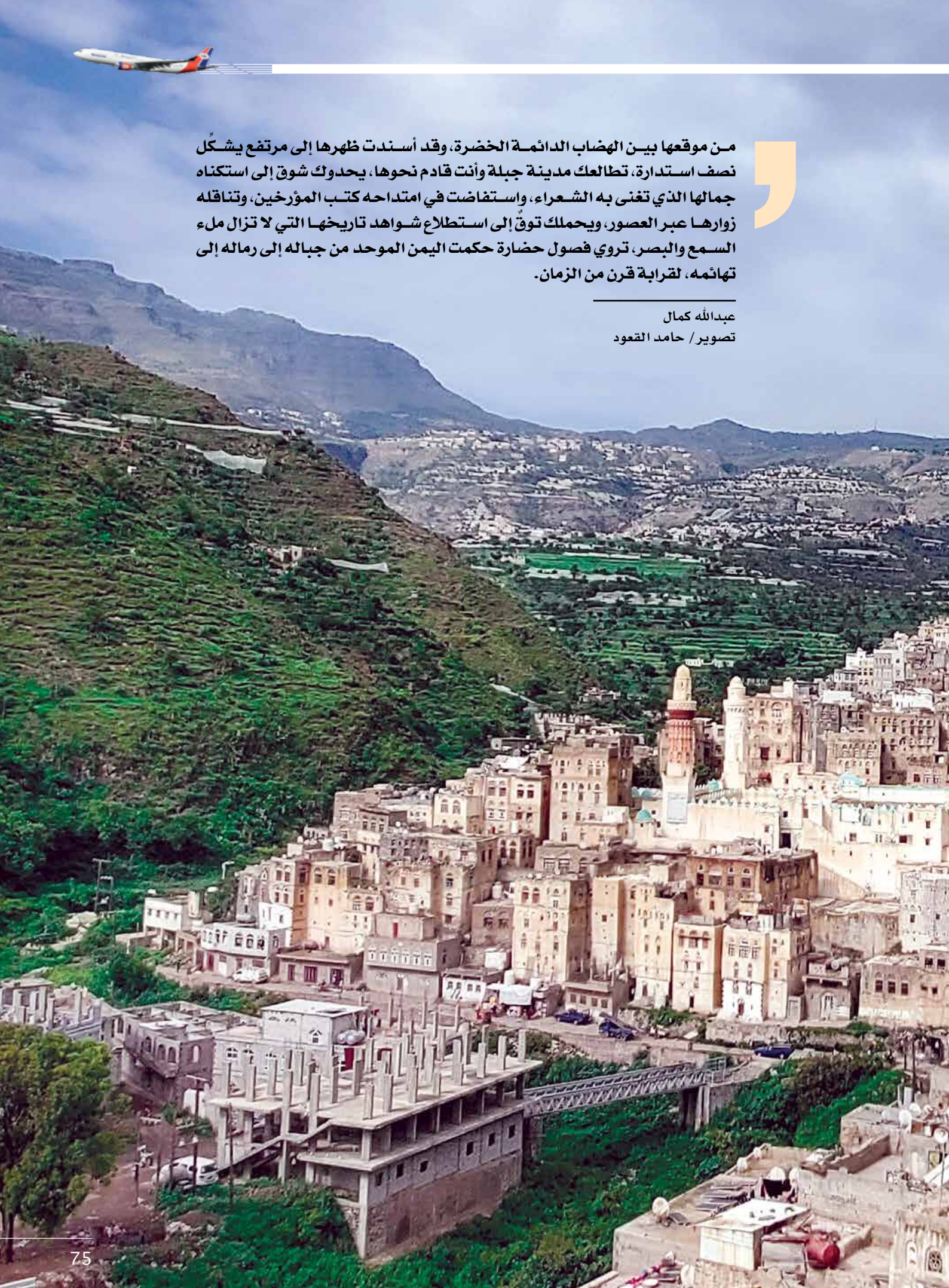

مـن موقعها بيـن الهضاب الدائمـة الخضرة، وقد أسـندت ظهرها إلى مرتفع يشـكِّل نصف اسـتدارة، تطالعك مدينة جبلة وأنت قادم نحوها، يحدوك شوق إلى استكناه جمالها الذي تغنى به الشـعراء، واسـتفاضت في امتداحه كتـب المؤرخين، وتناقله زوارهـا عبر العصور، ويحملك توقٌ إلى اسـتطلاع شـواهد تاريخهـا التي لا تزال ملء السـمع والبصر، تروي فصول حضارة حكمت اليمن الموحد من جباله إلى رماله إلى تهائمه، لقرابة قرن من الزمان.

عبدالله كمال

تصوير/ حامد القعود

على ارتفاع 2000 قدم فوق سطح البحر، وعلى السفح الشمالي الشرقي لجبل التعكر، وعلى بعد ستة كيلومترات من مدينة إب (عاصمة المحافظة) تقع مدينة جبلة، ومن أي الجهات قدمتَ، فإنك لن تلج إليها إلا وقد اغتسلت روحك بمياه نهريها اللذين يجريان عن يمينها وعن شمالها، ويلتقيان عند أسفلها، لتبدو نسخة دنيوية من الفردوس، أو تجسيداً بارعاً لإحدى مدن الأساطير، ولذلك سميت بـ«ذات النهرين»، وعن هذه الميزة الطبيعية قال المؤرخ حسين فيض الله الهمداني في كتابه «الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن»: «إن جبلة لا يدخلها أحد إلا طاهراً، وصباحها صباح عروس».

منتزه التاريخ

عرفت المدينة- التي تمثل اليوم مركز مديرية جبلة، بـ«ذي جبلة»، في كتب المؤرخين، منذ منتصف القرن الخامس الهجري، وكان أول من اختطَّها هو الأمير عبدالله بن محمد الصليحي، شقيق مؤسس الدولة الصليحية الداعي علي بن محمد الصليحي سنة 458 هجرية، 1066 ميلادية، لتتحول إلى مركز حاكمي للدولة الصليحية في عهد الملكة سيدة بنت أحمد الصليحي، التي عرفت باسم «أروى»، زوجة المكرم أحمد بن الداعي علي بن محمد الصليحي، التي نقلت العاصمة من صنعاء إلى جبلة، ومن دار العز الذي أسسته في جبلة، حكمت الملكة أروى اليمن بعد أن عَهِدَ لها زوجها المكرَّم شؤون الحكم، وابتنت الجامع الذي لا يزال معروفاً باسمها إلى اليوم.

وفي عهد الملكة أروى، شهدت اليمن نهضة حضارية وعلمية وعمرانية لا تزال الكثير من معالمها قائمة إلى اليوم، وأمرت بتمهيد الطرقات ورصفها على امتداد جغرافيا البلاد، وأجرت السواقي من أعالي الجبال إلى عدد من المدن، ومن هنا جاءت التسمية «أروى» وفقاً لبعض الباحثين الذين يرون أن هذا الاسم أطلق عليها لأنها أروت ظمأ سكان العديد من المدن ومنها مدينة جبلة التي أجرت بها ساقيتين، ومدينة إب التي أجرت إليها ساقية محكمة، ولا تزال هذه السواقي جارية بالماء حتى اليوم، كما أوقفت الكثير من الأراضي وسخرتها مراعيَ للمواشي، ومورداً للإنفاق على دور العبادة والعلم، وشريحة المساكين.

سجال الطبيعة والتاريخ

ليس تاريخ جبلة وحده هو ما يثير في النفس الشغف لزيارتها، فهي إلى جانب ذلك تتميز بمناخها البديع، حيث يكون دافئاً إلى معتدل خلال فصلي الربيع والصيف، فيما يميل إلى البرودة خلال فصلي الخريف والشتاء، كما أن موسم الأمطار فيها يعد أطول المواسم وأغزرها، إذ يبدأ مع بداية شهر مارس، ويستمر أحياناً حتى أواخر شهر أكتوبر، كما تشهد الفترة الممتدة من نوفمبر إلى مارس أمطاراً متفرقة، لتكتسي خضرةً في معظم أشهر السنة، ولخصوبة تربتها فإنها تشتهر بالزراعة، ومن أهم محاصيلها الحبوب بمختلف أنواعها، وبعض الفواكه، والبقوليات. ونظراً لهذه المزايا فقد شكَّلت مركزاً حضرياً وحضارياً، والحكم عبر محطات تاريخ ما قبل الإسلام وبعده، ولعل أبرز الشواهد وجود الحصون والقلاع ودور العلم والعبادة والسواقي، والهندسة المعمارية البديعة، وغيرها من عوامل الجذب السياحي.

معارج الدهشة

وأنت قادم إلى جبلة من بوابتها الشمالية، تتكشَّف لك مفاتن المدينة وهي تتوزع بين الهضاب الخضراء، وعند أولى عتباتها الواقعة في ملتقى النهرين، يتملَّكك الذهول أمام اللوحة الفريدة التي تشكِّلها المدينة العتيقة بهندسة بنائها وعمرانها الأصيل، ويستبد بك الشوق لصعود معارج الدهشة، على خطى «ياقوت الحموي» الذي وصفها بـ«أحسن مدن اليمن وأنزهها وأطيبها»، فيما قال الهمداني في وصفها: إن «مواردها وفيرة، وهي متوسطة بين اليمن الأعلى

والأسفل، وبها يخصب العيش، ويطيب المحل».

لقد اتخذت «مدينة جبلة» شكلاً متدرجاً لتبدو أمام الناظر من أسفلها كما لو كانت مدرج مسرح متراص باللوحات المعمارية العتيقة والنادرة، وبذلك فإنها لا تحتاج إلى أي نظام لتصريف مياه الأمطار، التي لا يبقى منها شيء في شوارع المدينة، ولا تتشكّل أي مستنقعات فيها.

المدينة.. الشوارع والأسواق

وفي أية زاوية من زوايا المدينة ستقف مشدوهاً أمام الجمال المعماري الذي يتمازج مع جمال الطبيعة، حيث تتراءى أمام ناظريك الدُّور القديمة التي بنيت على طوابق تتراوح بين الثلاثة والستة طوابق، المبنية بالحجارة، وقد طُليت واجهاتها بالجير الأبيض، أو ما يسمى «النُّورة»، لتشعرك برهبة التاريخ وأصالة الزمان، ودهشة المكان، وغيرها من عوامل العراقة التي تجعل خطاك تقودك مندهشاً تدفعك لتتوغل في شوارع وأزقة المدينة مأخوذاً بما تعكسه من إبداع تخطيطي وهندسي، ورصف حجري يتلاءم مع طبيعة تضاريس الموقع المتدرج لشكل المدينة العام.

خلال تجوالك في شوارع المدينة لا بد أن تستوقفك الأسواق التي لا تزال تحافظ إلى حد كبير على الغرض التخصصي الأصلي الذي أنشئت لأجله، كأسواق الحبوب، المدر، اللحوم «المجزرة»، الخُضَر، الحطب، السليط، الخياطين، العطارين، الحدادة وسوق النجارة، كما توجد السماسر- التي كانت تعد محطات للتجارة ونُزلاً لإيواء المسافرين- التي منها السمسرة الغربية، السمسرة القبلية، السمسرة الشرقية، سمسرة الزبيب، سمسرة السرة، سمسرة المعصرة، سمسرة الوزيرية.

«دار العز» القصر السلطاني

وأنت تسرح بنظرك في أرجاء اللوحة البديعة التي تشكّلها المدينة، لا بد أنه سيسترعي اهتمامك أكبر مباني المدينة التاريخية وأكثرها فرادة، إنه «قصر السلطنة» كما يسميه الأهالي، وهو قصر الحكم الذي ورد في المصادر التاريخية باسم «دار العز»، وستشعر بالأسى في الوقت ذاته لحالة التدهور والخراب الذي بدأ يدبُّ في أرجاء هذا القصر الذي يوشك في الوقت الراهن أن يتحول إلى أطلال، وهو ما يجب على الجهات المعنية أن تلفت إلى ترميمه والحفاظ عليه.

يتكون القصر من أربعة طوابق، تحتوي على ثلاثمائة وخمس وستين غرفة (بعدد أيام السنة)، وكل غرفة لها اسم معين يميزها عن غيرها من الغرف مثل: المنبر، الحلقتان، الكرمة، الشامخة، الثريا، المسعدة، السماك، السعيدة. وتذكر المرويات التاريخية أن الملكة أروى كانت تنام كل ليلة في غرفة من تلك الغرف التي بنيت بطريقة هندسية فريدة، بحيث تشرق الشمس كل يوم على الغرفة التي تقيم بها الملكة بشكل كامل، وعندما تصل إلى آخر غرفة تعلن انتهاء السنة، وبتلك الطريقة كانت تؤرخ لحكمها، كما يضم القصر عدداً من دواوين الاجتماع بالناس، وتوجد فيه بحسب المرويات التاريخية العديد من السراديب والممرات السرية.

مساجد ومنارات علم

ولكون مدينة جبلة كانت عاصمة لواحدة من أهم الدول الإسلامية في اليمن، فقد كانت مركز إشعاع علمي وحضاري، وتشهد على ذلك العديد من المساجد التاريخية ومدارس العلم، التي تعود إلى حقب تاريخية مختلفة من حقب تاريخ الدولة الصليحية، ومن أبرز تلك المساجد التاريخية، جامع الملكة أروى، أو جامع السيدة «أروى»، الذي يعد من أهم المعالم الأثرية، ويعود تاريخ بنائه إلى 480 هجرية.

وتفيد المراجع التاريخية أن الملكة أروى بعد استقرار حكمها من دار العز بجبلة أمرت ببناء جامعة ومدرسة، وفق النمط الهندسي المعروف في العصور الإسلامية الأولى، بشكل مستطيل يضم أربعة أروقة بينها فناء مكشوف. ويمثل الرواقُ الشمالي الجزء الأكبر من

المسجد، حيث جُعل بيتاً للصلاة، بينما خُصص الرواقان الشرقي والغربي كمدرسة ملحقة بالجامع، وظل الرواق الجنوبي صرحاً مسقوفاً تقف على زاويتيه مئذنتان، وللجامع ثلاثة مداخل بالجهات الشمالية والغربية والجنوبية، ويحتوي الجامع على عناصر معمارية وزخرفية بديعة، منها زخارف كتابية قرآنية بالخط الكوفي والنسخ وخط الثلث، بالإضافة إلى زخارف نباتية تتشابه مع التكوينات الزخرفية النباتية لجوامع الدولة الفاطمية في مصر.

وبموجب وصية منها دُفنت الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي في الزاوية الشمالية الغربية لبيت الصلاة في ضريح عليه تابوت خشبي مزخرف، تظلّله غرفة مربعة الشكل مزينة بأشكال زخرفية.

كما يوجد في المدينة عدد من المساجد، أهمها: «مسجد السَنَة» الذي يتميز بتفاصيله المعمارية والهندسية البديعة، وكذلك مسجد «قبة الزوم» أو ما يعرف بـ«قبة يعقوب»، الذي بني في 921هـ، ومسجد «النجمية» الذي بنته الأميرة الدار النجمية بنت علي بن رسول الغساني اليماني، مؤسس الدولة الرسولية، وأيضاً مسجد الدار، ومسجد سرمد، ومسجد النور، ومسجد البومة، وغيرها من المساجد التي كانت تكتظ بحلقات العلم، إلى جانب المعلامات أو المدارس المتخصصة، والتي من أشهرها: المدرسة الشرفية، التي تتوسط المدينة، وبنيت وفق نموذج هندسي فريد لا نظير له بين مساجد ومدارس جبلة، وتزين جدرانها من الداخل الزخارف الإسلامية البديعة، بالإضافة إلى دور علمية متعددة، منها معلامات المؤيد، والوصابي، وعبدالمؤمن شمسان، وغيثان، والعمال.

السواقي والمنشآت المائية

ومن معالم جبلة الأثرية، السواقي والمنشآت المائية من سقايات وبرك لخزن الماء، لا تزال محتفظة بوظيفتها إلى اليوم، وتمتد أكبر هذه السواقي لأكثر من خمسه كيلو مترات، حيث تبدأ من جبل التعكر، نزولاً باتجاه منطقة الربادي قرية الثمد، ثم تسير على امتداد السلسلة الجبلية لتصل إلى «سد الأوجاح» أعلى المدينة، ومنه تتوزع في سواقي فرعية إلى مساجد ومدارس جبلة.

وتميزت هذه السواقي بهندسة معمارية فريدة في ذلك العصر، حيث روعي في تصميماتها مرورها في مناطق وتضاريس مختلفة الارتفاعات، وتتكون في كل منها من جدار مبني من الحجارة ومجرى للماء في أعلاه، ولعل أشهر سواقي مدينة جبلة ومنشآتها المائية: سقاية المدرج، سقاية مسجد القشيبي، وبركة ماجل الكناني.

متحف الملكة اروى

للاقتراب أكثر من تاريخ مدينة جبلة، حاضرة اليمن عبر قرون، وعاصمة الدولة الصليحية، على الزائر للمدينة أن يحرص على ألّا تفوته زيارة متحف المدينة، الذي حمل اسم «متحف الملكة أروى»، ويقع في مبنى تاريخي بجانب «دار العز» أو قصر السلطنة.

تم تأسيس المتحف بمبادرة ذاتية من أحد شباب المدينة، الذي تكفل بتجهيزات المبنى التاريخي المكون من أربعة طوابق ليكون متحفاً للتراث الشعبي، وقد افتتح رسمياً عام 1998م، ويضم المتحف بعضاً من محتويات (دار العز)، وبعضاً من مقتنيات الملكة أروى، وبعض الأدوات التي كانت تستخدم في عصرها مثل أدوات الحرب، كما يضم أدوات صناعة العقاقير الطبية والزراعة والحدادة والنجارة ومختلف الحرف التي ازدهرت في ذلك العصر الذي يوصف بأنه عصر ذهبي، وصلت فيه الحرف إلى أعلى درجات التفنُّن.

ومِنْ أبرز معروضات المتحف ذات العلاقة المباشرة بالملكة أروى الصليحي ومقتنياتها الشخصية، مجموعة سيوف ومزاهر ومرشات نحاسية، ومشغولات فضية مطعمة بالأحجار الكريمة، وأوانٍ فخارية، ومسابح كبيرة لا ترقى إلى ضخامة السَبحة التي يتداول أهالي جبلة حكايتها أنها ذات ألف حبة، إضافة إلى هودج الملكة، ووصيتها، وغيرها من المتعلقات تُضاف لمقتنياتها من الكتب بمكتبة جامعها.

عندما تدخل المفارج أو المجالس اليمنية في الساعات الفاصلة بين الضحى والظهيرة، وكذلك في الساعات الفاصلة بين الظهيرة والغروب، يفاجئك انسكاب الضوء بألوان زاهية من الأجزاء النصف دائرية التي تعلو النوافذ، كما لو أن فناناً مبدعاً شكَّل الضوء بألوان الطيف السبعة على لوح من الزجاج.

ذلك الفنان هو الحرفي الأصيل الذي يكابد طوال يومه لينتج قمراً نصف دائري، يسد به الجزء العلوي لكل نافذة من نوافذ المجالس اليمنية، وتلك اللوحة الملونة هي القمرية، بينما تمثل الأضواء الملونة حصيلة ما هندسته أفكاره من أشكال زجاجية ملونة على لوحة من الجص الليِّن قبل أن يجف فيطبق على تلك الأشكال الزجاجية ذات الجمال الآسر في القمريات التي تواجه صناعتها التاريخية خطر الاندثار.

استطلاع وتصوير/
ياسين الاصبحي

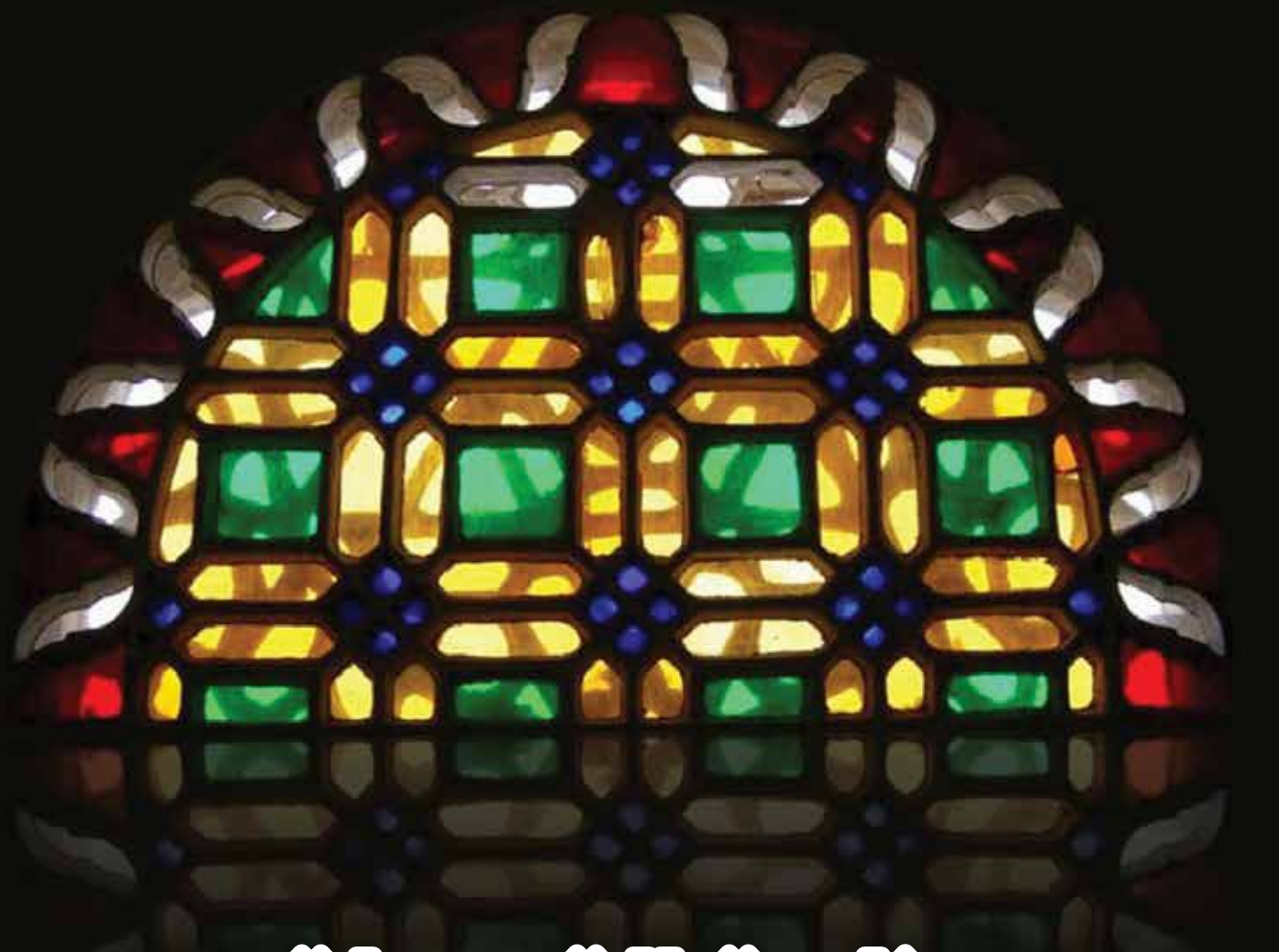

صناعة القمريات..

فن تشكيل الضوء في المجالس اليمنية

من منظـور تاريخي، يُرجـع باحثو ومؤرخـو العمارة اسـتخدام القمريات في اليمن إلى مـا قبل أربعة آلاف سـنة، مشـيرين إلى أنها كانت من أهـم إبداعات الفن المعمـاري على امتداد ممالك سـبأ وحمير وذو ريدان وتمنُـع، معين، وغيرهـا من الممالك التـي قامت في اليمن قبل الإسـلام. وقد عُرفت القمريات في مختلف الحواضـر اليمنيـة التـي عرفـت العمـارة الطينية والياجوريـة، ولا تـزال ناطحاتها إلى اليوم في شـبام حضرمـوت ومدينة زبيـد وصنعاء وصعـدة والجوف وشبوة ورداع، وغيرها من المدن والمحافظات.

ومن الناحية الفنية، تعد صناعة القمريات نتاجاً لواحد من أهم أجناس الفنون التشكيلية التجسيدية، المتعلقة بالزخرفة اللونية والجماليـة للأجزاء العلوية من كل طوابق المنزل اليمني الوحد، فتشـاهد الأقمار النصف دائرية تعلو النوافذ في كل طابق حتى لو كانت عشـرة طوابق.

كما تُعد القمريات اليمنية واحدة من أبرز معالم العمارة التقليدية، حيث تجسد عبقرية التصميم وروح الإبداع. هذه النوافذ المزخرفة التي تضم قطع الزجاج الملون داخل إطارات من الجبس أو الحجر، ليست مجرد عنصر جمالي، بل تمثل جزءاً من الهوية الثقافية والتاريخية لليمن، ورمزاً ثقافياً يعكـس تاريخاً طويلاً من الإبداع. ومـع ذلـك، يواجـه هـذا الإرث خطـر الانقراض أو الاسـتبدال نتيجة التحولات العمرانية الحديثة والعوامل الاقتصادية وتراجع الاهتمام بالتراث.

القمريات.. الوظيفة والجمال

تسـتخدم القمريات كجـزء معماري لا مفر منه، سـواء في العمـارة الطينية أو الحجريـة، لأن الوظيفة الأساسـية لهـا تتمثل في توفيـر الإضاءة الطبيعيـة للمنازل مع الحفاظ على الخصوصية، ولم يقتصر وجودها كضرب من ضـروب الزخارف المعمارية على البيوت في المدن التاريخية، مثـل صنعاء، زبيد، وشـبام حضرموت، بل تجاوزت ذلـك إلى البيوت الحجريـة الصلبة في ريمة ووصابين وعتمـة ويافع وتعز وغيرهـا، وصارت هوية يمنية أصيلـة تدل على الذوق الفني الرفيع للسـكان. والأهم أن القمريات تميزت بألوانها الزاهية وتصاميمها الهندسية المسـتوحاة من الزخارف النباتية والأشكال

الهندسية، لذلك توجد في المنازل والمساجد والمدارس ومباني القطاع العام والخاص، كونها جزءاً لا يتجزأ من الهوية المعمارية اليمنية.

تراجع صناعة القمريات

في العقود الأخيرة واجهت القمريات تحديات كبيرة تهدد وجودها، تتمثل تلك التحديات في التطور في وسائل ومواد البناء، فاستُبدلت القمريات التقليدية بمواد صناعية وزجاج بسيط يفتقر إلى اللمسة التراثية، بالإضافة إلى أن ارتفاع تكاليف الإنتاج، وندرة الحرفيين، وارتفاع أسعار المواد، جعل صناعة القمريات التقليدية أمراً مكلفاً، وضعف التوعية، وقلة الوعي بأهميتها كجزء من الهوية الثقافية أدت إلى تراجع استخدامها، وسط تحذيرات بحثية من أن اندثار القمريات يعني فقدان جزء من الهوية الثقافية والتاريخية لليمن.

جهود تبعث على الأمل

على الرغم من تلك التحديات، هناك جهات تبذل جهوداً تبعث على الأمل في سبيل الحفاظ على هذه الحرفة، حيث لوحظ في الأعوام الأخيرة مبادرات لتشجيع الحرفيين عبر تدريب جيل جديد على صناعة القمريات، وتوفير الدعم المالي للحرفيين.

بالإضافة إلى محاولات الاستفادة من التطورات ودمج القمريات في العمارة الحديثة، وتعزيز استخدامها في التصاميم المعاصرة كعنصر جمالي مميز، وإطلاق حملات تثقيفية لتعريف المجتمع بقيمة القمريات كإرث ثقافي ومعماري، غير أن ذلك لا يكفي، فعلى الجهات المعنية العمل على سنّ تشريعات لحماية التراث العمراني وفنونه وحرفه المختلفة، ولعل أبرز تلك الفنون والحرف صناعة القمريات، وتشجيع استخدامها في المباني الجديدة، كما يجب اتخاذ خطوات عملية تشمل إحياء الحرف التقليدية، ودعم الحرفيين المَهَرة، وتوسيع برامج التدريب، والسعي الجاد لإدراج القمريات ضمن قوائم التراث العالمي لحمايتها من الاندثار.

نافذة الماضي نحو المستقبل

في كل شعاع يمر عبر القمريات نرى تاريخاً يمتزج بجمال الحاضر وروح الأمل للمستقبل. والحفاظ عليها ليس مجرد واجب ثقافي، بل هو مسؤولية وطنية لضمان استمرار هذا الرمز المعماري كجزء من هوية اليمن وثرائه الفني.

وتظل القمريات اليمنية شاهداً حياً على عبقرية الإنسان اليمني وعراقة حضارته، والحفاظ عليها واجب تجاه الماضي والحاضر والمستقبل، لضمان بقاء هذا الكنز المعماري رمزاً لجمال اليمن وإبداع إنسانه.

لم يعد الزبيب اليمني بأنواعه، البياض والرازقي والأسود، فاكهة الفصول الأربعة فحسب، بل صار الهدية المشهورة، والفاكهة الأسطورية الفريدة التي جابت شهرتها الآفاق، وصار العديد من المسافرين اليمنيين يتباهون بتقديم كميات منه إلى أصدقائهم في أصقاع المعمورة، إلى جانب محصول البن اليمني الأصيل.

ولمن لا يعرف، فالزبيب برغم ميزته وشهرته التاريخية وقيمته الغذائية والمادية والمعنوية، ليس سوى فائض محصول العنب، حيث يتم تجفيف الفائض من المحصول فيصير زبيباً له مذاقه الخاص وقيمته الأعلى من العنب.

عبده الأكوع
تصوير: مصطفى المجيد

الزبيب

فاكهة الفصول الأربعة

في قلب صنعاء القديمة لا يزال سوق الزبيب ينبض بالحياة، ويمثل رمزاً للأصالة والتاريخ العريق، باعتباره أحد أشهر أسواق المدينة التاريخية الذي تباع فيه فاكهة الفصول الأربعة (الزبيب) بالجملة والتجزئة، ويقصده البائعون والمشترون من مختلف مناطق اليمن، لبيع واقتناء الزبيب بأنواعه وألوانه الزاهية وجودته الغذائية العالية، وأفضليته التي تؤكدها المقاييس والمواصفات الدولية المعتمدة.

انواع الزبيب

تزخر المولات التجارية المنتشرة في أحياء العاصمة صنعاء، بأنواع الزبيب اليمني المختلفة، منها الزبيب البياض والرازقي والأسود، وكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة ينقسم إلى أنواع عدة تتفاوت جودةً وسعراً وحلاوةً، فهناك الزبيب الصعدي الأسود، وهناك الزبيب الجُبري الأبيض، الذي تشتهر بإنتاجه مديرية ذيبين، محافظة عمران، و«زبيب الروضة» ذائع الصيت الذي يسميه البعض «الزبيب الرازقي»، وكذلك «زبيب البياض» الخولاني الذي تشتهر منطقة خولان جنوب شرقي صنعاء بإنتاجه، والذي يعد من الأصناف الراقية التي يحرص اليمنيون على شرائها، فهو شديد الحلاوة وليس فيه أدنى حموضة وإنتاجه قليل، فيما الإقبال عليه يتزايد بشكل كبير، وكذلك الزبيب الحشيشي الأسود نسبة إلى منطقة «بني حشيش» شرقي العاصمة، والتي تعد من أهم مناطق زراعة العنب في اليمن، إلى جانب مديريات بني الحارث وهمدان وأرحب وسنحان بمحافظة صنعاء، ومحافظة الجوف، التي تزرع عشرات الأصناف، قد

تصل إلى 60 نوعاً، منها الحاتمي والزيتون والجوفي وغيرها.

وإلى جانب المولات، تزدان المحال التجارية المنتشرة بالأسواق المركزية في مديريات وأحياء العاصمة صنعاء بأنواع من الزبيب اليمني التي تلفت أنظار المتسوقين، ومن أبرزها: سوق الملح، وسوق شارع خولان، وسوق الحصبة المركزي، وغيرها.

ويتراوح سعر الكيلو الواحد من أصناف الزبيب البياض والرازقي والأسود بين 3 آلاف و20 ألف ريال يمني (ما بين 7 دولارات و40 دولاراً) للكيلو الواحد، وكلما كانت حبة الزبيب كبيرة ونقية وتميل إلى اللون الذهبي كلما كان الصنف ذا جودة وسعره مرتفعاً.

خبايا الكبار

ويحتفظ الزبيب اليمني بمكانة متميزة لدى كثير من الأسر اليمنية، جعلته الفاكهة المفضلة على امتداد الفصول الأربعة، وأدرك اليمنيون منذ القدم فوائده، ونسجوا باستمرار الروايات والأحاديث والأغاني عن منافعه، ومن جيل إلى جيل يتناقلون الحكايات عن تأثير الزبيب وقوة مفعوله في مقاومة العلل والبرد والشفاء من الأمراض.

وقد جرت العادة أن يدخر كبار السن الميسورون في مدن وأرياف اليمن كميات من الزبيب في أماكن خاصة للحفظ، يستعينون به على مقاومة البرد، وإذا ما زارهم بعض الأقارب والأطفال يقدمون لهم شيئاً من تلك الخبايا كهدايا أو في أطباق، خاصة في المناسبات كالأعراس والأعياد الدينية، التي يكثر فيها التزاور والمعايدة، باعتبار ذلك عنواناً لكرمهم وحفاوتهم بضيوفهم وزوارهم، كباراً وصغاراً.

ويتصدر الزبيب إنفاق الأسر اليمنية بنحو 3 مليارات ريال سنوياً من 5 مليارات ريال إجمالي الإنفاق على الفواكه المجففة والحلويات والمكسرات، وفقاً لبيانات مسح ميزانية الأسر في اليمن، الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء في العام 2014م.

تجفيف وتجهيز الزبيب

ليس كل العنب يتحول إلى «زبيب»، إذ أن أنواعاً معينة هي التي يتم تجفيفها، وهي البياض ذو الحبة الدائرية، والرازقي ذو الحبة الطويلة، والأسود، حيث يعمل كثير من المزارعين في موسم قطف العنب- الذي يمتد بين الفترة من يوليو وحتى نوفمبر من كل عام- على تجفيفه بطرق تقليدية ومن دون مواد حافظة وتحويله إلى «زبيب»، بدءاً من تخزينه في بيوت خاصة مُظلَّلة ومفتوحة من الجهات الأربع تسمى «العوشة»، إذ تُرصُّ عناقيد العنب إلى جانب بعضها بعضاً وتغطى بالقش، وبعد ذلك يتم تعريضها لأشعة الشمس والهواء الجاف، أو يتم استخدام آلات تجفيف كهربائية، في عملية تستغرق نحو شهرين، ما يجعله يمتاز بجفافه الخالي من اللزوجة والرطوبة، ويسهُل حفظه لأشهر إن لم يكن لسنوات، يظل خلالها محتفظاً بقيمته الغذائية، دون أن يفقد مذاقه المتميز والفريد كمنتج يحظى بانتشار كبير في مختلف المدن والمناطق اليمنية، ويباع طوال العام في الأسواق المحلية بأصنافه المتنوعة، فيما يتم تصدير كميات منه إلى الأسواق الخارجية المجاورة، ويصل إنتاج اليمن من الزبيب إلى نحو 50 ألف طن سنوياً، وفق إحصاءات العام 2014م.

هدية الملوك

قبل الإسلام، عرف اليمنيون القدماء نبيذ العنب للطعام، وصناعة الزبيب، وكانوا يقومون بكبسه وتقطير عصارته التي يمكن شربها أو تخميرها، لتصير نبيذاً يتم تصديره، إذ كانت هناك مراكز لإنتاج عصارة الزبيب، التي أطلق عليها مسميات كثيرة، ومنها نبيذ «شبام» الأحمر، حسب ما ذكره عالم التاريخ والآثار محمد مرقطن.

ومنذ القدم ظل الزبيب الهدية المحببة للملوك في الحضارات اليمنية القديمة، وعُثر على نقوش أثرية تمجِّد شجرة العنب وتتحدث عن الزبيب ومنافعه، إلى درجة أنهم استخدموا هذه الفاكهة ككفَّارات عن خطاياهم، وقدَّمها اليمنيون القدماء للمعابد السبئية والحميرية القديمة، كما اكتسب الزبيب قيمة تبادلية في المعاملات التجارية ومقايضة السلع لما يتميز به من مقاومة للزمن، مع الاحتفاظ بقيمته الغذائية.

«باب موسى»..

كتاب معماري لتاريخ تعز القديمة

باب موسى الأثري، ليس الوحيد المؤدي إلى داخل مدينة تعز العتيقة، فهناك ثمانية أبواب تقود الزائر إليها، لكن لم يبق منها سوى الباب الكبير، وباب موسى الذي يعد رمزاً ثقافياً يؤكد عبقرية الإنسان اليمني في بناء المدن، وحسه الأمني وتاريخه العسكري والدفاعي.

في هذه المادة سنلج مدينة تعز القديمة من باب موسى، لنقرأ عوالم تاريخها الاجتماعي في تآلف المنازل وتخطيطها الحضري، وتاريخها الاقتصادي في تعدد الأسواق والسماسر الواسعة التي تعكس ماضياً تجارياً عبر التاريخ... إلى التفاصيل:

ابتهال هاشم تصوير: محمد الوجيه

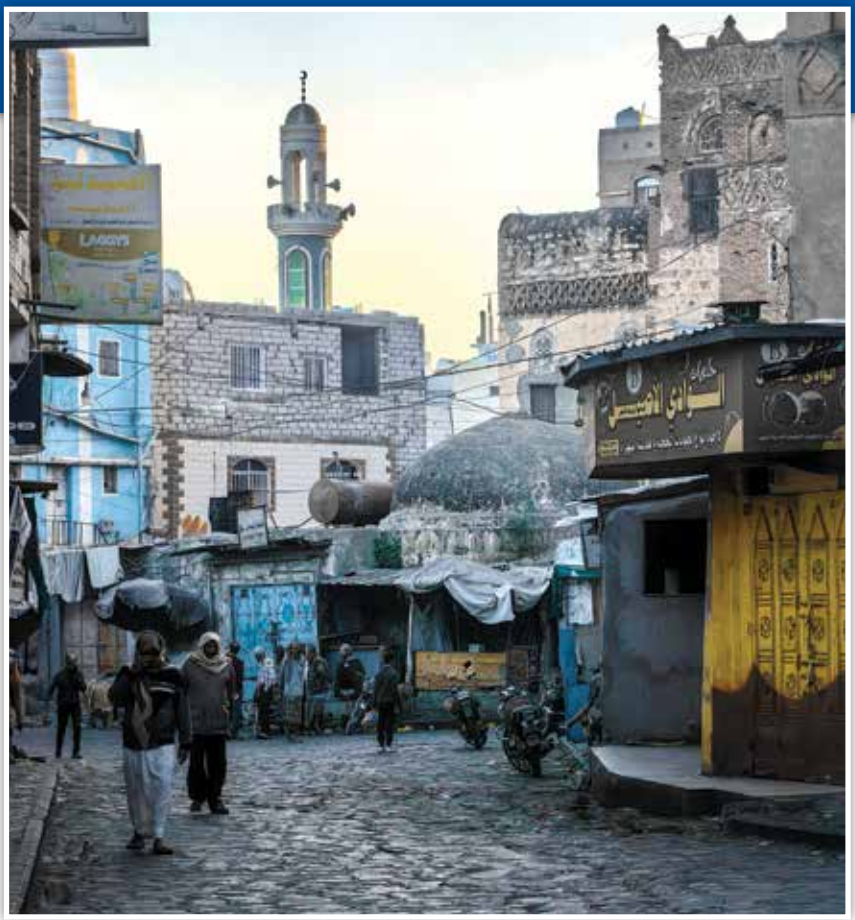

باب موسى والباب الكبير يحكيان الكثير عن الماضي العريق لمدينة تعز ذات الثمانية الأبواب، كما لو أنها الجنة، كما يحكيان مجد حاكميها، وحرصهم المسؤول على تأمين المدينة وحماية سكانها.

وفيما يقع الباب الكبير في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة على بعد كيلو متر عن سوق الشنيني، يقع «باب موسى» في الجهة الغربية التي تطل على الطريق المؤدية إلى المخا، وكان يسمى «باب الباشا سنان»، نسبة إلى أحد الباشوات الذي بناه قبل 200 سنة، أيام الوجود العثماني، لكن هذه الرواية تغاير تماماً اسم الباب المستعاد بعد رحيل الأتراك وحكم الباشوات، وتنافي التطور العمراني الذي شهدته المدينة على أيدي حكام آل رسول، الذين اتخذوا من تعز عاصمة لدولتهم الرسولية الإسلامية، فباب موسى ينسب، حسب المراجع التاريخية، إلى القاضي موسى بن أحمد بن عجيل، الذي عُيّن قاضياً في تعز في عهد الدولة الرسولية، وعاش ودفن في المدينة، وقبره بالقرب من الباب، حيث تتواجد قبته حتى اليوم.

ومن باب موسى يلج الزائر فيقطع مسافة تقارب الكيلو متر، حتى يصل إلى سوق الشنيني الذي اكتسب شهرته

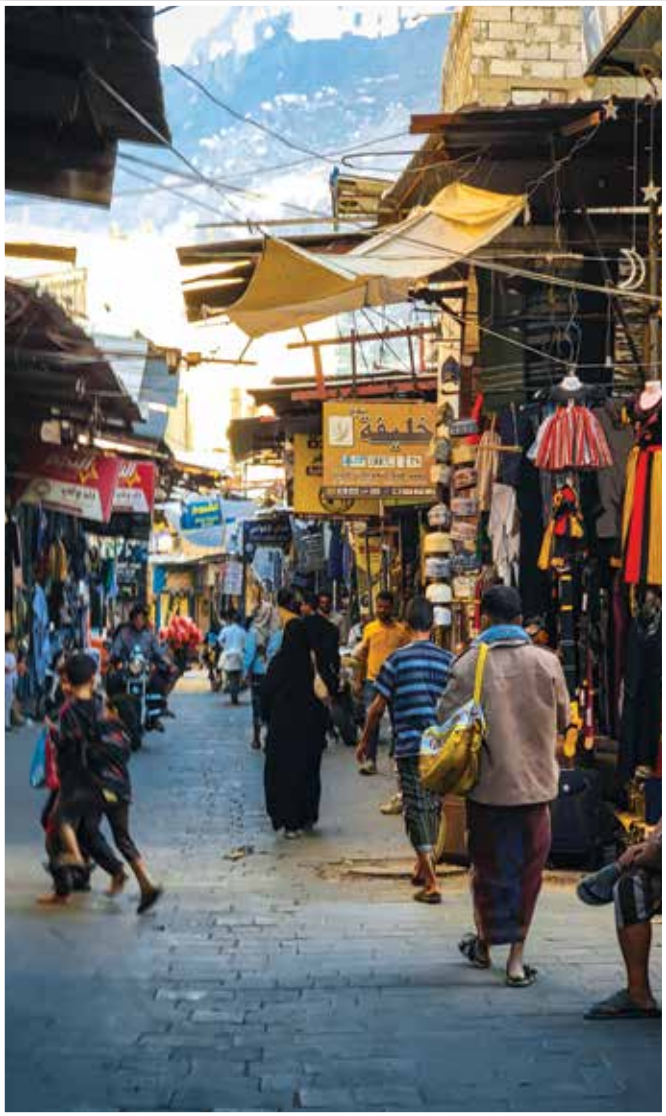

الاسمية من لقب الشيخ الصالح عفيف الدين عبدالله الشنيني، المتوفى سنة 804 هجرية، وينتشر فيه العديد من محلات العطارة ومحلات التمور والصناعات اليدوية والفخارية والزراعية، وأيضاً محلات بيع الجبن البلدي والأسماك (الوزف)، وفي وسط المدينة القديمة توجد محلات بيع الفضة والتحف والهدايا الأثرية.

كما أن «باب موسى»، و«الباب الكبير»، وربما الأبواب الثمانية التي كانت تتميز بها مدينة تعز، جميعها بطراز معماري حجري فريد يعكس الهوية المعمارية اليمنية من حيث العمارة الرصينة، والنقوش والزخارف التي يتميز بها كثير من أبواب المباني الأثرية في تعز، كأبواب جامع المظفر، والمدرسة الأشرفية وغيرها، فلا تجد في تلك الأبواب نقوشاً وزخارفَ أجنبية.

تعز القديمة

في تعز المدينة القديمة، تعيش الماضي والحاضر والمستقبل في وقت واحد، فعندما تتجوَّل في أزقتها القديمة يدهشك تصميمها الهندسي المعماري القديم، وتدهشك النقوش الرائعة على أبوابها ومآذنها وأسوارها، وتأخذك إلى العصر الذهبي الذي شُيِّدت فيه بأبوابها الشاهدة على تاريخ ومجد وعراقة هذه المدينة وجمالها الساحر، عمارةً وزخارفَ ونقوشاً، تعكس عبقرية الإنسان اليمني.

الأبواب الثمانية

كانت تتخلَّل السور ثمانية أبواب، تُفتح صباحاً لخروج وعودة سكان المدينة، وتغلق حين يدنو الليل لحماية ساكني المدينة وأسواقها ومبانيها من السرقة والاعتداء الخارجي، فتشعر كأن المدينة بيت واحد يحفك الأمان فيه من كل جانب، ولم يتبقَّ من هذه الأبواب الثمانية سوى بابين اثنين، باب موسى والباب الكبير، وهذه الأبواب هي:

باب القلعة: يؤدي إلى داخل المدينة عبر منافذ مُدرجة مخفية في الجبل، وبعضها الآخر ظاهر.

باب الوحدة: يقع شرق المدينة القديمة، يأتي إليه الزائر عبر منطقة وادي المدام إلى داخل المدينة.

الباب الكبير: وهو المدخل الرئيسي والتجاري للمدينة، ولا يزال قائماً إلى يومنا هذا، وفيه أسواق تباع فيها الأشياء الشعبية والتراثية التي حافظ عليها السوق من الاندثار.

باب المخلولة: يقع في الجهة الشمالية للمدينة، عليه شباك حديدية لمرور السيول من داخله.

باب موسى: وهو مدخل تجاري للمدينة من جهة الغرب.

باب المتاجر: أو ما يسمى «باب المحاريق» يقع في منتصف سور المدينة من الجهة الغربية.

باب الشهابية: في الجهة الجنوبية تحت قلعة السراجية، التي تقع فوق جامع عبدالهادي والمعتبية.

باب النصر: وهو المنفذ الجنوبي الرئيسي للمدينة القديمة، ومنه مدرج رسمي إلى جبل صبر.

سلطان الصريمي..
شاعر الأرض والحب والأمل

«واســاجعة بكــري/ باكر معانــا ذري// زفي إلــى خاطري/ صــوت المعنّى الطري
بشوقنا والحنين/ ننقش خيوط السفر// ومن دموع السنين/ نروي الأماني سهر
ياللي عشقت التراب/ غني ليوم الذري// وصيح يوم الصراب/ يا أرض لا تنكري»..

هذا المدخل المدهش من أشهر قصائده الغنائيــة «باكر ذري»، التي تُعد شفرة بليغة التعبير عن كينونة الشــاعر الغنائي الكبير ســلطان الصريمي، في انتمائه الأصيل إلى الريف اليمني المترع بالبســاطة والجمال، والتمسك الزمني بمواقيت الزراعة بأيامها ولياليهــا ونجومها ومواســمها، وأغانيهــا ومهايدهــا، ولوازمها القولية الأصيلة.

إن مفردتــي «باكــر ذري» لازمة قوليــة درجــت علــى ألســنة المزارعيــن فــي جميــع أرياف اليمــن، وهي تحث الأســرة على إشــهار معاني العــزم والاحتفاء بصباحــات البــذار المشــتعلة فرحاً، بوضــع الحبّة في الأرض وتعهُّدهــا بالرعايــة من لحظة البذار إلــى يوم الحصــاد. لقد استطاع الراحل سلطان الصريمي أن يبعث في الذاكرة الاجتماعية تاريخاً عريضــاً وأمجاداً تليدة، وأفراحاً مزهرة بالحب والأمل..

كتب/ محمــد الجرادي
تصوير : عبد الرحمن الغابري
يوسف جبل

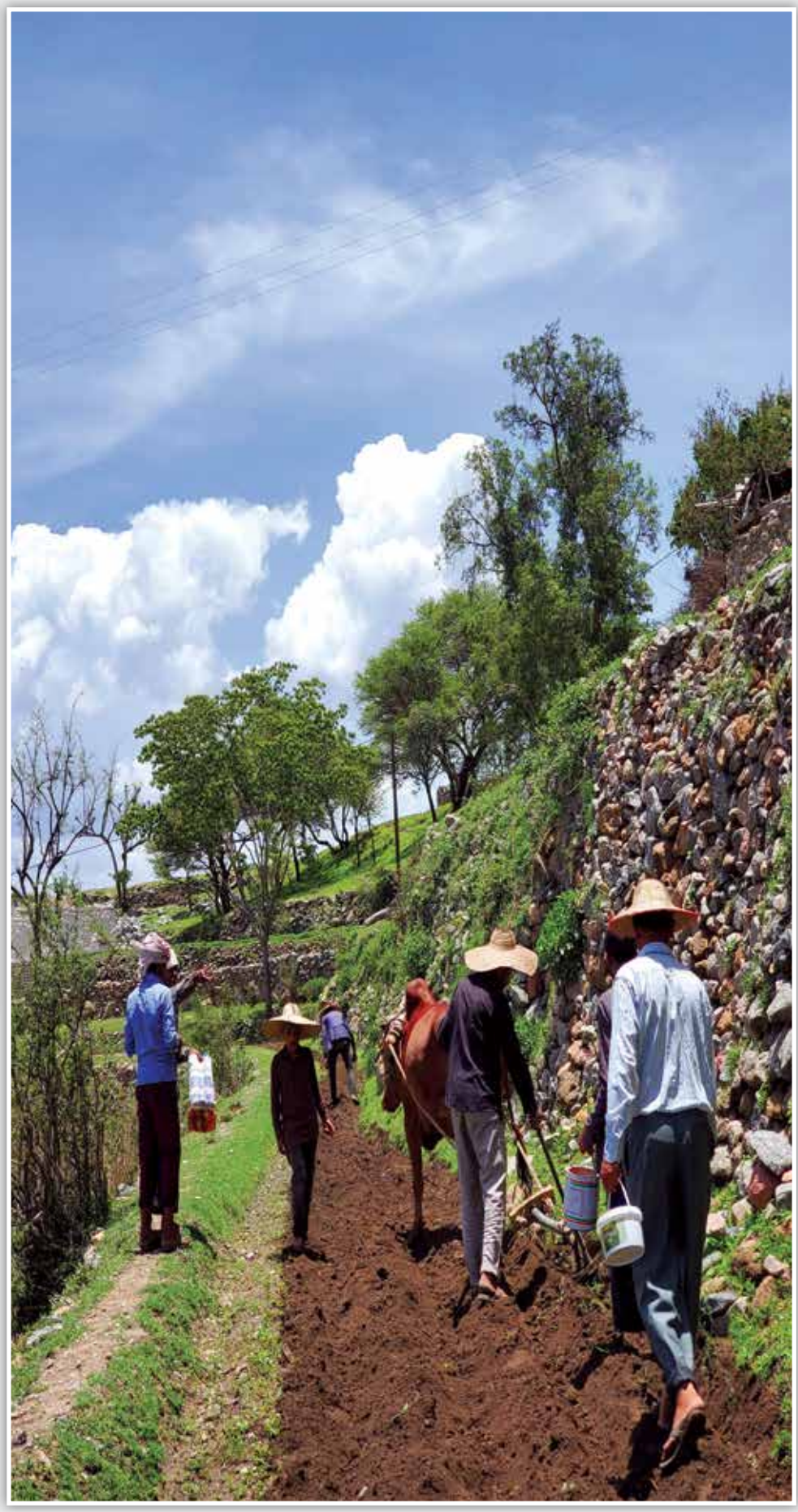

«العامية» بوعي حداثي

شكلت تجربة الشـاعر الدكتور سلطان الصريمي الشـعرية ملمحـاً متميزاً في المشهد الشعري اليمني شكلاً ومضموناً، وتجلى ذلك منذ اشتغالاته الأولى مطلع السبعينيات من القرن المنصرم، حسبما يقول الشـاعر والناقد سلطان عزعزي، موضحاً أن الصريمي اختط لنفسه ممراً خاصاً على صعيد الشكل الكتابي، تمثل في القبض على اللغـة العادية واللهجة العاميـة، واسـتثمار طاقتهـا الدلالية لتنفتح علـى روح الشـعر وتموضعه في جسـدها وتحوله إلى لغة راقصة حافلة بالعذوبة والإشـعاع والتوهج والإيحاء،

لينتزع ركودها ويجعلها تتحرك داخل بنية حديثة تمثلها قصيدة التفعيلة.

وتتفق كتابات تزامنت مع رحيل الشاعر الصريمي، على أن عوالمه الشعرية تنفتح على تنوُّع أبعاد مضامينها، حيث يتواشج العاطفي بالاجتماعي، ويتعانق السياسي بالوطني، ويتمازج الغنائي بالملحمي، ليتناغم ذلك في لوحة شعرية بانورامية حافلة بالجمال والإدهاش، استطاع من خلالها أن يقدم بصمته الخاصة ونكهته المميزة في الشعر اليمني، حيث استقدم عناصر ومفردات بيئته المحلية من أحاديث الناس اليومية، وأعاد خلقها من جديد ليفسح لها وجوداً فنياً خاصاً داخل قاموس الشعر اليمني والذائقة الجمالية.

و«اختطفت قصائد الصريمي حضوراً لافتاً جذبت إليها الأنظار، وألهبت العواطف، ومنحتها شحنة عالية التأثير، فهو نموذج للشاعر الملتزم بهموم وقضايا المجتمع، فالشعر لدى الصريمي ليس ترفاً ذهنياً أو فيضاً وجدانياً آنياً، بل هو رسالة معنية باستنهاض الوجدان والذاكرة»، وفقاً لإشارات الناقد عزعزي.

طفولة وصبا.. وأصداء أغانٍ

كان لمولد الشاعر الصريمي، في واحد من أرياف تعز، وحياته لفترات طويلة في القرية، أثره الكبير في صلته الوجدانية العميقة بروح الريف ومفرداته، حتى أن تجربته الشعرية الغنائية تكاد في غالبية مضامينها وعناوينها أن تكون تعبيراً خالصاً عن الريف: الطبيعة الآسرة، والنسائم العليلة، والحقول الخضراء، والينابيع التي لا تكف عن الجريان، والرعاة وأصواتهم، والفلاحون وأهازيجهم، والنساء وأغانيهن، والرجال واغترباتهم.. إلخ.

وقد حافظ الصريمي، كما يبدو، على كل هذا المخزون من إرث الريف، وحمله معه إلى تجربته الشعرية، «مطرِّزاً به قصائده الغنائية، جنباً إلى جنب مع القصائد الفصحى، حتى أنه أعطى لنفسه هوية تعريف شعرية ليست غايتها أن تمثل انتماءً إلى مجتمعه المحلي، بل انتماءً وطنياً وإنسانياً».

وهو ما تجلى في لقاء صحفي أجراه معه الزميل أحمد الأغبري، حيث قال الصريمي: «أنا عشتُ في القرية كثيراً، وكنت في قريتي أستمع إلى الأغاني الشعبية: أغاني البذار والحصاد والموالد والأعراس، كل هذه الفنون الشعبية المتوفرة في القرية كوّنتْ لديَّ مخزوناً كبيراً من الثقافة السَّمعية الشعبية التي كنت أستقيها من مختلف المشارب، وتكونت عندي حصيلة قاموسية واسعة من المفردات العامية، وما يقابلها من الفصيح، وبالتالي أستطيع أن أصوغ الصورة الشعرية صياغة فصيحة وعامية بشكلٍ أرى أنه ناجح جداً، ومفهوم عند الناس».

فمن «وا عمتي»، و«مسعود هجر»، و«حنين الأرض يا سلمى»، إلى «تليم الحب»، و«باكر ذري»، و«يا صباح الباكر»، و«عروق الورد»، و«يا ورود نيسان»، و«متى وا راعية شمطر»، و«يا نور أحلامي»، و«أنا لك»، وغيرها العشرات من الأغاني التي كتبها الصريمي وتلقفها فنانون محليون أبرزهم: أيوب طارش، وعبدالباسط عبسي، ومحمد مرشد ناجي، ونجيب سعيد ثابت، وأحمد فتحي، وجابر علي أحمد، يتكشف للمتابع أنها بالمجمل« أغانٍ، كما تدل عناوينها ومضامينها، تستلهم من الطبيعة والأرض والجمال موضوعاتها الفنية، وتعبِّر عنها بألحان عذبة بسيطة، كما هي الطبيعة البسيطة والجميلة التي جاء منها الصريمي الشاعر، وقبل ذلك تعبِّر عن صدق انتماء الشاعر للأرض والإنسان، حين يتجلى كفلاح، أو عاشق، أو حالم».

لكن «لا يُذكر اسم سلطان الصريمي كشاعر غنائي كبير إلا ويذكر معه الفنان المختلف عبدالباسط عبسي، الذي شكل معه ثنائياً فريداً ابتدأ مع أغنية

«وا عمتي منو شـقول لمسـعود»، التي ظهـرت مُغنَّاة أول مـرة في مدينة الحديدة، أوائل سـبعينيات القرن الماضي وتحديـداً في العـام 1972م، فصارت-وقتها- تلك الاغنية ملاذاً للنساء في القرى اللواتي عانين من قسوة فراق الأزواج بسـبب الهجرة، التي كانت واحدة من المعضلات الاجتماعيـة الناجمة عن الفقر. وكان من أكثر تداعيـات ظاهرة الهجرة القسـرية إيلاماً للزوجات الشـابات اختفاء الأزواج، الأمر الذي يتحول مع الوقت إلى شـقاء مضاعف في حياتهن، لا يمتلكن حياله سـوى الشـكوى المريرة التـي تختصرها هذه الأغنية، التي تتوجه بها الزوجة للعمَّة»، طبقاً للشاعر والكاتب محمد الشيباني.

وأضـاف الشـيباني: «طـوال تاريخ التعـاون الفني الطويل بينهمـا أنتج الاثنان (الصريمي والعبسـي) عشـرات الأغاني التي كُتبت وغنت للطبيعة والإنسان بصوت عبدالباسط، الدافئ والمعبِّر في آن، ومن أكثرها انتشـاراً، إضافـة الى أغنيـة «وا عمتي منو شـقول لمسعود»، «يا ورود نيسان يا شـذى حبي»، وأغنية «يا خضبـان وردك جمالـه ثاني»، وأغنيـة «باكر ذري»، وأغنية «يا نور أحلامي»، وأغنية «عروق الورد مستني رعودك»، وأغنية «متى وا راعية شـمطر»، وأغنية «يا هاجسي»، وغيرها وغيرها الكثير».

ومن المهم التنويه، في هذا السـياق، بأن اتصال الشاعر الصريمـي لم يقتصـر على الفنانـين المحليين، فقد غنى له من العـرب فرقة الطريق العراقيـة، وأيضاً حميد البصري، وفرقة محمد حسين منذر السورية، وشـوقية العطـار، وقيـس العراقي، العشـرات من قصائـده العامية السياسـية، وخصوصـاً تلك التي تضمنها ديواناه الشـعريان «أبجدية البحر والثورة» و«نشوان وأحزان الشمس».

الاغنية الاشهر

(تليم الحب في قلبي
يذكرني بأيام الهثيم
يذكرني دوادح حبنا الغالي
ودخداخ النسيم.
حُبَيِّبي نفسي عليك تُرجف
خايف على أحلامنا لا تكسف
والعين من غالي الدموع تذرف
تشتي تسقي وردنا وتقطف).

تـكاد هذه الرائعـة الغنائيـة، بصوت الفنان الكبـير أيوب طارشـ، تكون تخليـداً لصوت الشـاعر الصريمي، وتجسـيداً لروحه المخضبة بروح الريف وأشـواق الفلاحين في الحقول، ومع المواسـم الزراعية وارتباطاتها بالجمال والحب والمشاعر النقية الدافئة، كمـا تكاد تكـون تعبيراً عن الانتمـاء العام بالنسبة للشاعر والفنان، خلافاً للعشرات من الأغاني التي عززت ظاهرة الثنائية التي نشـأت واستمرت بين الصريمي الشاعر، والفنان عبدالباسط عبسي.

و«تليـم الحب» يجوز لنـا وصفها بالرائعـة الوحيدة، بالنظر إلى طبيعة العلاقة الفنية بين الصريمي وأيوب

طارش، التي توقفت عند حدود هذه الأغنية فقط، لكن لحن وصوت أيوب قد أضافا للأغنية خلوداً من نوع آخر جعلها الأشهر في انتاج الصريمي الغنائي.

رحل الصريمي، لكنه انتمى في مجموع إصدارته الشعرية: «هموم إيقاعية»، و«أبجدية البحر والثورة»، «نشوان وأحزان الشمس»، «قال الصريمي»، «أربع وردات وقصيدة»، «زهرة المرجان»، «الهواجس»، «أبجدية الربيع»، إلى كل ما له علاقة بالأرض والإنسان، وأظهر التزاماً نادراً تجاه إشاعة ثقافة الجمال والحب وقيم الخير والعدالة الاجتماعية والحرية.

اخيراً.. خاتمة النشيد

للصريمي صولة وجولة في مضمار الأدب والثقافة والكتابة والسياسة، والرأي المستنير، وله روائع غنائية نحتها صبراً في صخور الأيام ومكابدات الحياة، فمنها ما وصل إلى فناني اليمن والوطن العربي الكبار، ومنها ما لم يصل، وما زال يمثل كنزاً أدبياً وفنياً وتراثاً ضاربة جذوره في عوالم الجمال والإبداع، التي تنبض بها أعماله، كما تنبض وقفات نصه الغنائي الخالد «باكر ذري»:

واساجعه بكري/ باكر معانا ذري
زيفّ إلى خاطري/ صوت المعنى الطري
بشوقنا والحنين/ ننقش خيوط السفر
ومن دموع السنين/ نروي الأماني سهر
من المحبة قلوب/ تهجّ مثل السيول
وفي حناني تذوب/ تنهدات البتول
باكر ذري والغمام/ تحمل سلام الزهور
لشعبتي والحمام/ زيفّ تهاني الطيور
ياللي عشقت التراب/ غني ليوم الذري
وصيح يوم الصراب/ يا أرض لا تنكري.

مملكة تايلاند..

بلد المفارقات والأضداد

كثيـراً ما يتفوَّق الهامش على المتن، ويتمرَّد الفرع على الأصل، ويكـون قرار اللحظة الأخيرة هو البداية مهمته الرياضية الأساسية لرحلة مبهرة صوب جنوب شرق آسيا وشبه الجزيرة الصينية، حيث تقع مملكة تايلاند، التي تحدها من الشرق جمهورية لاوس الديمقراطية الشعبية ومملكة كامبوديـا، ومـن الجنوب ماليزيـا وخليج تايلاند، ومن الغرب والشـمال جمهوريـة اتحاد ميانمار، وبحر أندامان. إنها تايلاند بلد المفارقات والتاريخ والمعابد والحدائق والأفيال.

عبدالله الصعفاني

من مطار صنعاء كان الإقلاع، وكانت طائرة الخطوط الجوية اليمنية هي حافز البداية، كما هي غالباً مهبط كل عودة لاستنشاق هواء الوطن، ربما لأن السفر على متن طيران بلدك هو تجسيد للإحساس الإنساني بالألفة بين المواطن وبلده فوق السحاب.

والحق أن رحلتي إلى تايلاند، بعد مهمة التغطية لمشاركة اليمن في دورة الألعاب الأسيوية، أكسبتني معارف سياحية وإنسانية مضاعفة لم تفتقر للجمال، ولم تنقصها الإثارة، وكان فيها التعويض عن مشقة التنقل بين ملاعب أسياد آسيا..

صحيح أن المدن متشابهة داخل المنطقة الجغرافية الواحدة في العالم، كما هو الحال ببلدان شرق وجنوب آسيا، ولكن تبقى بعض البلدان ذات خصوصية تدعو لتأملٍ لا يفتقر للإثارة، كما هو الحال في تايلاند، البلد الذي يشتهر بكرم الضيافة، وتعدد الوجهات السياحية المفتوحة على الحدائق الغنّاء، والغابات المطيرة والشلالات الصافية، والشواطئ الدافئة المفتوحة على زرقة المحيط الهندي، والغابات الخضيرة والجزر الاستوائية.

في تايلاند استوقفتني متناقضات أناس يوقدون الشموع، ويحرقون البخور، ويطلقون أدعية الأجواء الروحانية، وأناس يلاحقونك لعرض المساج وخدمات عجيبة تثير غرابة إنسان قضى طفولته وصباه في

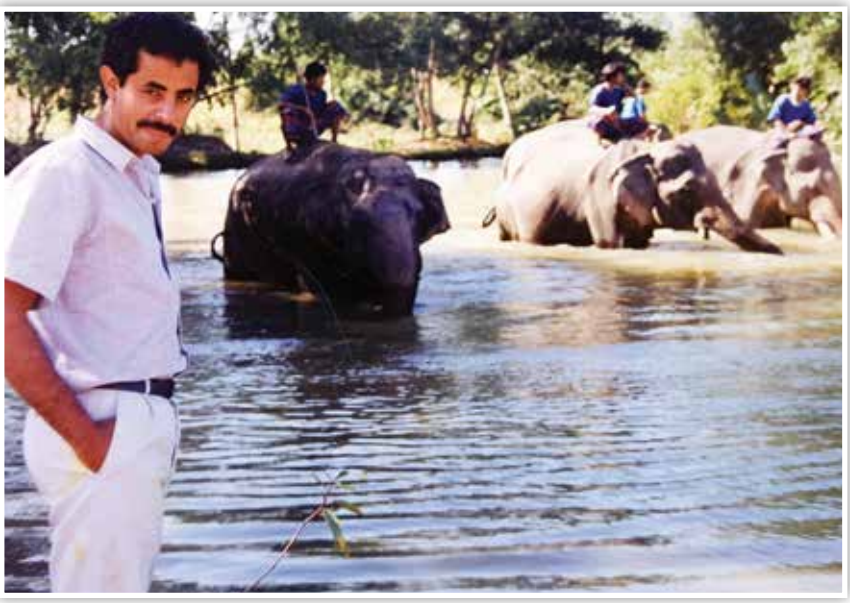

واحد من أهم أرياف اليمن..

مشاهد كثيرة تلفت نظرك وأنت تتجوَّل عبر المساحات الممتدة من محيط القصر الملكي في العاصمة التايلاندية «بانكوك» إلى أماكن سياحية كثيرة في المدينة وخارجها.

المرشدون السياحيون، وهم ينظرون إليك بامتنان لافت، يعطونك تصوُّراً أنهم مخلوقون من أجلك، ومحبة فيك، بلا مبالغة أو تهويل.

وتكفي الإشارة إلى أن الفتاة التي تقدم لك الطعام تنحني لتجلس على ركبتيها قبل أن تضع الطعام أمامك، فتسأل نفسك: هل هو سلوك اجتماعي متجذر، أم أنها مجرد أشكال تفي بالمتطلب السياحي وحسب؟

في بانكوك تبهرك حلبات الملاكمة التايلاندية

المنتشرة، في سلسلة شارع يذكرك بالصندقات الخشبية الصغيرة لباعة القات في الأسواق اليمنية.

وقد تُفاجأ بمن يحتكُّ بك ليفتعل خناقاً، ليس من أجل الخناق ذاته، وإنما للاستيلاء على ما في جيبك، إذا لم تكن على درجة عالية من التركيز.

وأتذكر أنني اضطررت لافتعال حركات استعراضية تعطي حرامية شارع الملاكمة التايلاندية انطباعاً بأنني بطل كاراتيه لا يشق له غبار. وكنت والزميل حسين العواضي محظوظَيْن لكون حركة يدي الفارغة انطلت على اللّصين فغادرا المكان، ونجونا من وجع الدماغ.

على أن هذا الموقف العدواني لا بد أن تلغيه حكاية صاحب استديو تصوير، نسيت والزميل مطهر الأشموري كاميرتنا عنده، فإذا هو يترك محله ويلحقنا إلى نهاية الشارع الطويل، مجسَّداً أرقى صور الأمانة، مما دفعني للقول:

لو أنني صاحب المحل سأكتفي بانتظار عودة أصحاب الكاميرا المنسية، وهو ونباهته، ولن أقوم بمطاردة أصحابها بامتداد الشارع الطويل وبحماس أخلاقي لافت.. وضحكنا.

في أسواق تايلاند تُعرَض البضائع المقلدة بدقة متناهية، وتفرض عليك تعلُّم فنون التفاوض بصورة يمكنك فيها المفاصلة حتى يقلب لك البائع ظهر المجن، ولسان حاله بالتايلاندي: هذا هو السعر النهائي، «إما شلَّيت أو حطَّيت».

والظريف أن البائع التايلاندي يكتب سعر السلعة في الآلة الحاسبة ويعرض الرقم عليك، فتقوم بوضع سعر أقل بكثير، فيضع هو رقماً آخر، ويستمر الحال حتى تخرج معه إلى طريق، لكنك ستنصدم في مولات السعر المحدود، فتغادر المول بدون أكياس، متأثراً بقوة عادة المبايعة في الأسواق الشعبية.

وللأفيال في تايلاند حضورها المدهش.. إنها تقدم عروضاً مدهشة، وتبرِّر كون الفيل هناك هو رمز للمُلك.

وفي حديقة الأفيال تتمتع بجماليات الخضرة والزهور، وتراقُص الفيلة مع بعضها على أنغام الموسيقي، فضلاً عن استعراضات قيام الفيلة بسحب الأخشاب الطويلة الثقيلة بانسجام وتوازن لافتين.

في تلك الحديقة قال لنا المرشد السياحي:

«هذا الفيل يتكلم كل لغات العالم، وعلى كل واحد منكم أن يطلب من الفيل أن يأكل عدداً محدداً من الموز بلغة بلاده» وبالفعل قام الفيل بتنفيذ طلبات السياح بلغاتهم المختلفة: إنجليزية، فرنسية، عربية.. إلخ. لكن المرشد أوضح في الأخير أن الفيل لا يعرف اللغات ولا الأرقام، ولكن الطفل الذي فوقه هو من يستقبل الطلبات ويحك جسد الفيل بطريقة معينة يفهم منها الفيل عدد أصابع الموز المطلوب منه أكلها بأي من لغة العالم، ويتناول الفيل أصابع الموز بدقة عالية، حسب طلب و لغة كل سائح.

فعلاً.. محظوظ من يربط حزام السفر باتجاه بلد مثير ومدهش مثل تايلاند.. مملكة المفارقات، والتقاليد، والسياحة والثقافة.

commodate 1200 cubic meters, is located at the bottom of the castle. The four floors of the castle contain rooms, guest rooms, kitchens, bathrooms and dining rooms, as well as a surprising guest room, called "Tairamana", on top of the building.

Al-Waqidi Castle, owned by Sheikh Dawood Saghir Al-Waqidi, is one of the most prominent tourist attractions in Raymah Governorate, where visitors can visit it throughout the day, wander inside its four floors and rooms, take memorial photos, and enjoy watching the view of rare scenes in cloudy atmosphere from the roof of the castle, perched on top of the mountains.

Stone Roads

The stone architecture in Raymah Governorate also involved paving the roads throughout history, where the roads were paved and sloped for camel and mule caravans. And the stone roads have always been an authentic basis for the development of architecture in the towering mountains of Raymah.

In the time of cars, vehicles and trucks transporting goods to the top of the mountains, stone-paved roads became a functional necessity due to their durability if constructed according to precise bases, standards, and solid foundations such as Al-Lamhail Road that was built by the people of Al-Anam, Nema, Yafouz, Jabal Dhalamlam, and Bani al-Qahwi villages in the isolation of Bani al-Ja'ad of the Jaafari district. This great cooperative project became famous through the local and Arab media. It was completed by the initiative of the local community in the mentioned villages along with the support from businessmen and expatriates from that area.

structure, but he also crowned it with a roof built of granite stones, so that a huge, four-sided stone pillar lies in the center of the mosque. This pillar, with its unified coordination, reaches a particular point of height then from its top eight stone arches branch, two arches from the top of every side of the pillar, which looks like a huge tree trunk whose branches dangled to lean on the walls in the form of semicircular stone arches, making the view of the ceiling look like a stone structure of an umbrella with a uniquely coordinated beauty. Also, the spaces between the arches were covered with long rectangular stones that were cut with precise sizes then paved and arranged crosswise, and the gaps between them were filled and painted white, which gave the ceiling a captivating beauty.

Al-Waqidi Castle

One of the most famous stone castles Al-Waqidi Castle is one of the most important huge buildings built with stones, including the ceilings. It consists of four floors built perfectly and roofed with stones symbolizing a very surprising and unique engineering and aesthetic multitude. Yet, no other building materials were used along with the stones in this huge structure, where the wide and durable courses - thick stone walls, and the design of the windows, the doors, and the main arches supporting the roofs of the castle's heavy floors were built of huge rocks that have been paved and built with great care to resist the changes of nature through the ages, which is a surprising engineering design symbolizing an open challenge to the laws of gravity.

With a length of 20 meters, a width of 6 meters and a height of 6 meters, a spacious water tank, that can ac-

Moreover, the roofs of houses are not only used as ceilings for the houses, but they are also carefully prepared to meet the economically daily and seasonal needs of the population, as they are used as spaces for drying agricultural crops away from livestock, and they are used as social spaces for family gatherings.

Banu Ziyad Mosque

A symbol of stone ceilings in the isolation of Bani Ziyad, Kasma District, in the south of Raymah Governorate One of the skilled craftsmen, called "Asatia", excelled in the construction of a unique stone mosque. Yet, he didn't only build the mosque with its stone

The Antecedent of Architecture

Before the concept of urban sustainability in architecture became globally popular, the locals in Raymah Governorate practically applied it using stone architecture on mountain tops, slopes and hillsides, where homes were designed to be eco-homes through the use of local building materials and recycling local resources.

Also, the architectural design takes the climate into consideration, as the thick walls isolate extreme heat and cold and the high wooden and stone ceilings reduce the temperature by providing cold currents, which makes these stone houses suitable for living in all seasons,

With their simple knowledge, our ancestors built castles and impregnable forts that witnessed a history of wars, invasions, and natural conditions. Therefore, they gained architectural experiences that led to an architectural engineering concept, combining simple designs with practical effectiveness so as to ensure human security and provide food supplies through constructing accurate watchtowers, safe entrances and exits, stores of supplies, and water tanks in the forts and castles.

Yahya Aldhibi and Ali Hussein
Photography by Youssef Jabal

The stone architecture in Raimah...

Taming nature to serve man

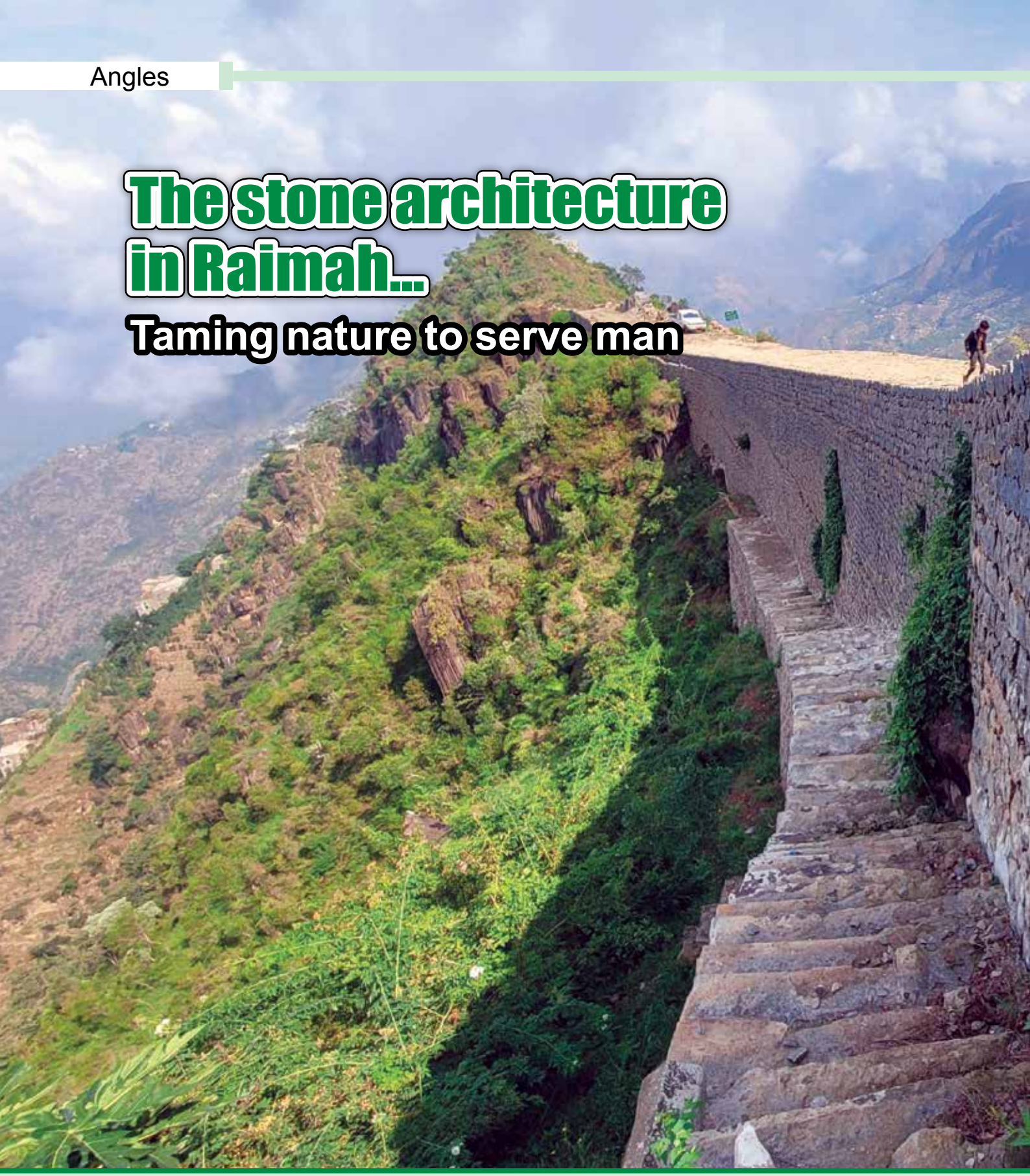

On top of Yemen's western mountains, in Raymah Governorate, the architectural character, and its solid design, embroidering forts, castles, mosques, dams, and paved roads, reflects man's ability and genius to overcome nature and tame its solidity and ruggedness for the sake of sustainable living.

Raymah Governorate is famous for its extremely high and undulating steep mountains that form the hills and the wide hillsides, where villages, forts, and castles are spread out, proving the resilience of our ancestors and their ability to adapt to difficult natural conditions.

Historically, architectural researchers and historians date the use of Al-Qamaria in Yemen to four thousand years ago. They also note that it was one of the most important innovations of architectural art throughout the kingdoms of Sheba, Himyar, Dhu Raydan, Tamna, Ma'in, and other kingdoms that existed in Yemen before Islam. Thus Al-Qamaria was popular in the various Yemeni Civilizations, which were known for their mud and brick architecture, and whose skyscrapers still exist today in Shibam Hadhramout, Zabid, Sana'a, Saada, Al-Jawf, Shabwa, Radaa, and other cities and governorates.

Technically, Al-Qamaria making is the product of one of the most important types of embodiment and formation arts, which are related to the colored and aesthetic ornaments of the upper parts of all floors of every Yemeni house. Consequently, one can see semicircular moons above the windows of every floor, even if there are ten floors.

The Yemeni Qamaria is also considered one of the most prominent features of the traditional architecture since its basic function is to provide natural lighting for homes while maintaining privacy. As a result, it is used as an inevitable architectural part, whether in mud or stone architecture.

And, its existence, as a type of architectural ornament, doesn't only confine to the houses in historical cities such as Sanaa, Zabid, and Shibam Hadhramaut, but it also goes beyond that to the solid stone houses in Raymah, Wasabeen, Otma, Yafa', Taiz, and others.In fact, it became an authentic Yemeni character with superlatively artistic taste for the population. Yet, the most important feature that distinguishes Al-Qamaria is its bright colors and geometric designs, which are inspired by plant ornaments and geometric shapes. Thus it is found in homes, mosques, schools, and public and private sector buildings as it is an integral part of the architectural Yemeni character.

The reasons behind the decline of Al-Qamaria making

In recent decades. Al-Qamaria faced major challenges that threaten its existence. These challenges include the development of construction methods and materials. So, the traditional Qamaria was replaced by industrial materials and simple glass that lacks the traditional touch. In addition to that, the high production costs, the shortage of craftsmen, and the high prices of materials made the traditional Qamaria an expensive matter, and on the other hand the little understanding and the lack of awareness of its importance as part of the cultural character led to a decline in its use. As a result of the challenges mentioned above, researchers warns that the disappearance of Al-Qamaria means losing part of the cultural and historical character of Yemen.

As soon as you enter a Yemeni sitting room or a top room, called "Mafaraj", during the hours preceding the noon time or the hours preceding the sunset time, you will be dazzled by the light passing in bright colors through the semicircular parts above the windows. In fact, you will feel that as If a creative artist formed the light in the seven colors of the spectrum on a pane of glass.

That artist is the authentic craftsman who struggles throughout his day to produce a semicircular moon, with which he uses to cover the upper part of every windows in the Yemeni sitting rooms. That colored piece of art is called "Al-Qamaria". While Al-Qamaria with its colored lights represents the thought outcome of the artist on a moist plaster sheet with colored, glassy, and exquisite shapes, it faces the danger of disappearance.

Poll and photography
Yassin Al-Asbahi

Al-Qamaria Making ...

the art of shaping light in Yemeni sitting Rooms

houses from time to time is obviously evident among the residents, so that they would remain immortal forever and never collapse.

Perhaps the most important factor that distinguishes these fortress is the excessive amount of their interior decoration with various and beautiful inscriptions and ornaments whose designs are breathtaking.

Also, on the front sides of the fortresses' doors the date of constructing each fortress is inscribed along with Koranic verses such as "If you are grateful, I will certainly increase you."

Furthermore, it's crystal clear that all the fortresses have something in common which is having a room, called "Al-Sanwiya", located on the last floor. On the roofs of Al-Sanwiya, there are small holes, called "Mawashiq", that can accommodate a rifle muzzle. These mawashiq are spread out every side of the roofs, and our ancestors started using them for the mission of sniping the British occupation soldiers in 1900.

Inherited Techniques

Mud architecture in Al-Jabiyah is characterized by the building techniques passed down through generations, which basically rely on the locally available natural materials. These techniques include: preparing clay, shaping mud bricks, and building walls, ceilings, and decorations. In fact, these techniques are equivalently used in building palaces, mosques, and homes.

Moreover, the architecture in Al-Jabiyah is characterized by the spread of observation buildings called "Noobs". These noobs serve as towers and castles and are located at the top of forts, giving the forts an aesthetic view. In addition, houses and castles usually have a place in the building called "Al-Muradi", which is like a balcony on the highest floor and is overlooking the main entrance of the building.

Also, the designs and shapes of the mud houses in Shabwa are distinguished by pillars, called "Bawshir". These pillars are pointed with geometric shapes and are located at the top of the houses. And, they represent prestigious significance and connotation among the ancestors as well as the invincibility of Al-Jabiyah's houses.

Historically, Al-Jabiya was mentioned in the victory inscription of the Sabaean king, Karb El Watar, when he invaded the Kingdom of Osan and other valleys of the East. Other historical sources reported that Al-Jabiya was one of the regions mentioned in the seventh century BC.

Moreover, Al-Jabiya was one of the commercial stations through which the caravans passed after leaving Habban and Al-Dalaa Regions, according to historians. And during the period from the first century AD until the third century AD, it was considered a transit area for commercial caravans coming from the port of Qena heading to the urbans of Al-Mafaza and the ancient kingdoms.

Also, during the period of modern and contemporary history, especially the twentieth century, Al-Jabiya was the source of interest and study by the western travelers who visited it. In 1936 AD, the famous British traveler, Sari Hunt John Philby, passed through it and said about it: "Either the market or the village of Al-Jabiya is located at a distance of five miles from Kurash area, which is located on the closest side of Al-Qalaia Heights. Moreover, the British officer, Hamilton, arrived in, it in 1938, coming from Shabwa City, and he was impressed by its construction and the way the houses were built. Hamilton mentioned that it had nearly a hundred houses, most of which had three floors, and that it was protected by five tall fortresses built of mud brick. He also mentioned that it had a water well.

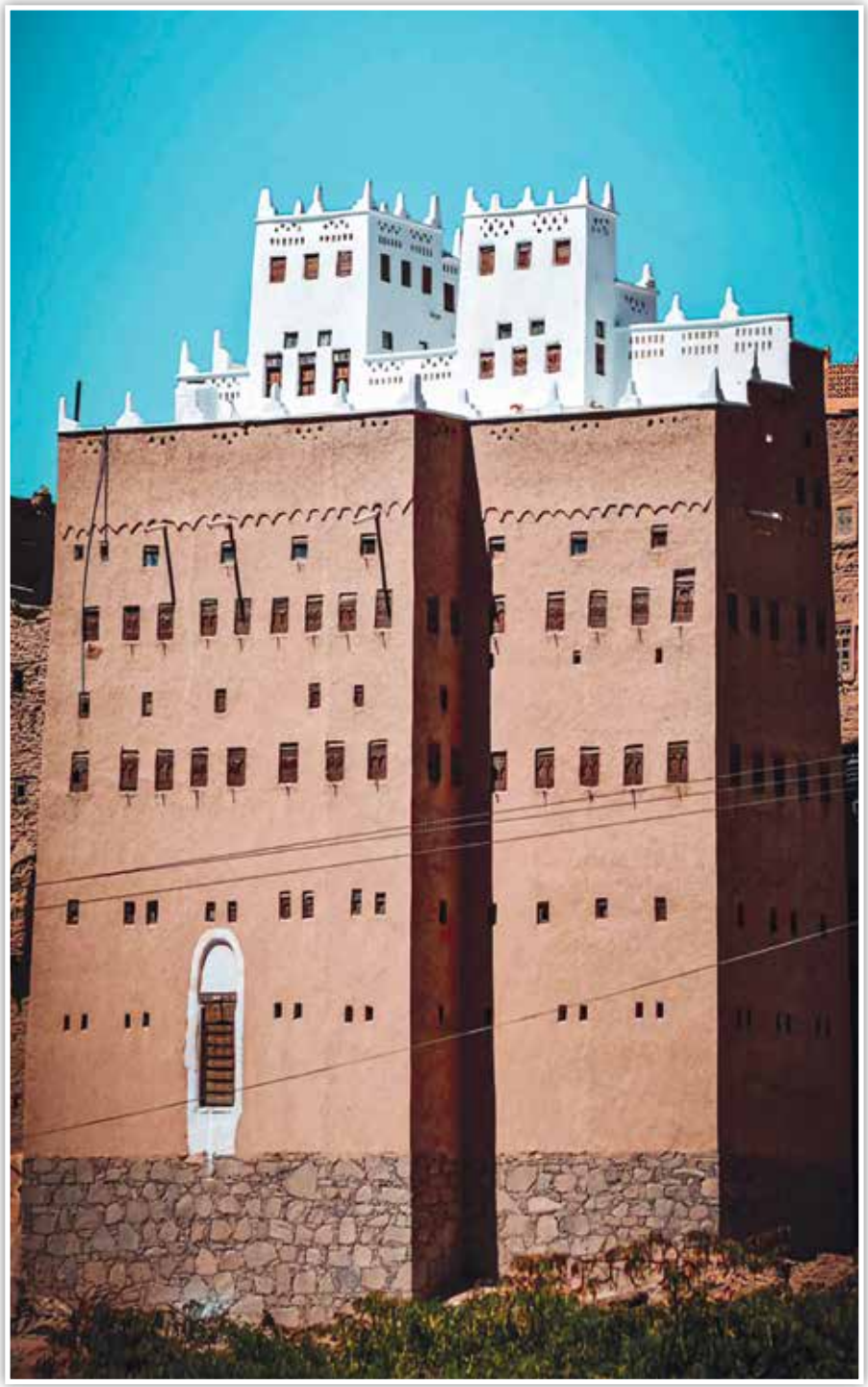

Fortresses and Towers

What Al-Jabiyah is most famous for is its ornate historical fortresses with their unique and ancient geometric architecture. The names of these fortresses are linked to a number of families' names in the region such as the fortresses of Al Abdullah, Al Sinan, Al Burman, Al Hamad, Al Muhammad, Hobeish, and others. Yet, these fortresses basically belong to Al Awda Tribe, descended from Al Khalifa Tribe.

Actually, these fortresses and other towers constitute the memory of the place and the people in Al-Jabiyah, so it is not possible to talk about it without citing its historical fortresses and towers, which are unique in their muddy architectural character and their amazing, complex inscriptions and decorations. In addition, the fortresses of Al-Jabiya have always remained a cause of pride and praiseworthiness for many popular poets, old and young, throughout Shabwa Governorate.

Therefore, the concern for restoring these fortresses, towers, and other

Although more than three centuries have passed since the construction of its towers, fortresses, palaces, and mud mosques, Al-Jabiya still narrates the story of its resistance to deterioration and erosion. Therein, visitors can observe the forms of architectural designs that are resistant and glowing with beauty, vitality, and vibrant creativity, which truly makes it an icon of architecture and heritage. Thus it should be locally and internationally praiseworthy as much as the early praiseworthiness of Shibam, Old Sanaa, and Zabid cities.

Muhammad Saleh Al-Jaradi
Photography: Jamal Shnaiter

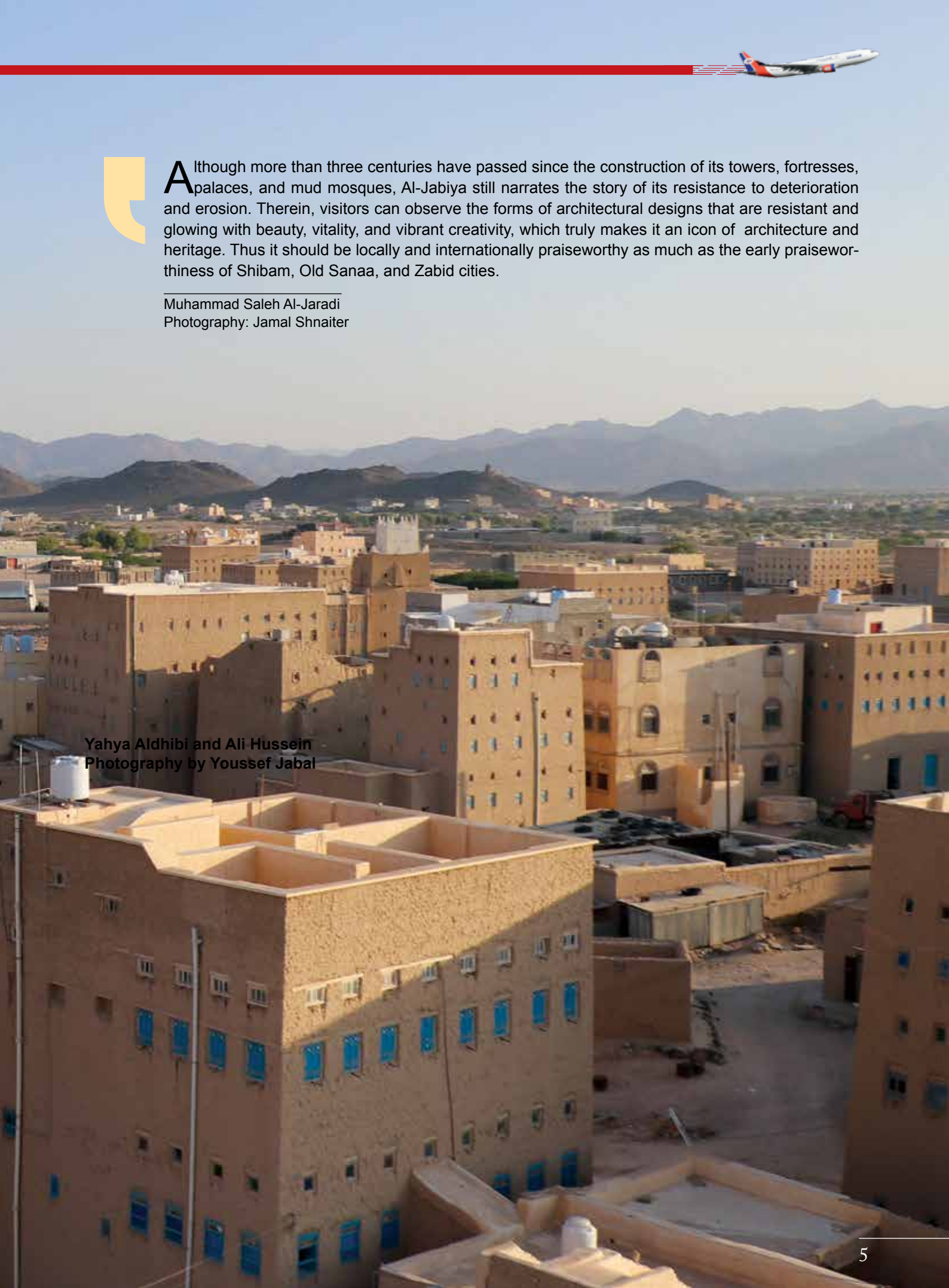

Yahya Aldhibi and Ali Hussein
Photography by Youssef Jabal

Al-Jabiyah in Shabwa
the Narration of Mud Architecture

Fortresses, Palaces and Mosques, resisting Time ...

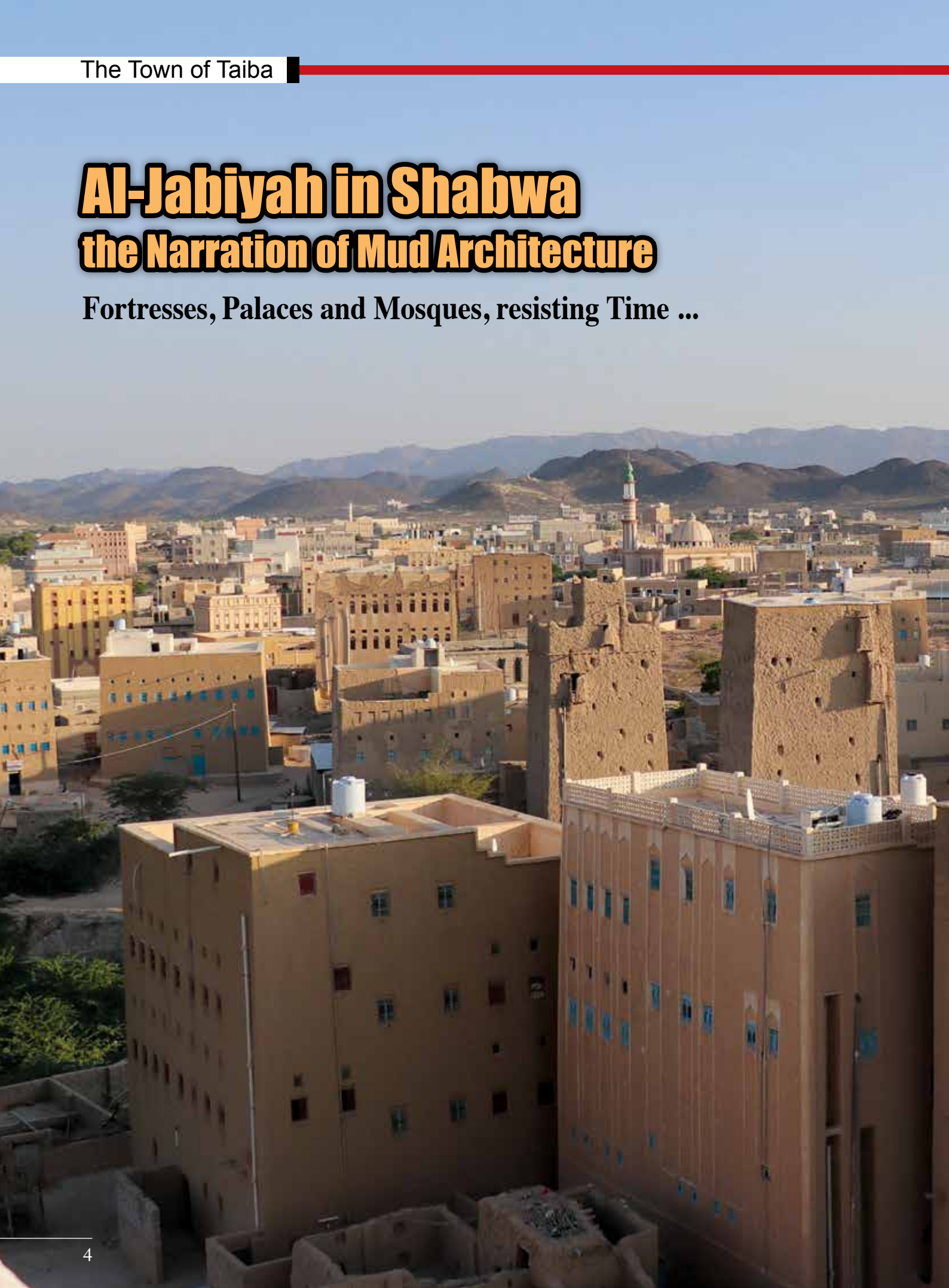

CARGO

خدمات الشحن الجوي

تلبي احتياجاتكم

Yemenia اليمنية

Yemen Airways الخطوط الجوية اليمنية

National Carrier الناقل الوطني

www.yemenia.com

Contents

Yemenia Yemen Airways
اليمنية الخطوط الجوية اليمنية
Issue No. 59 - January - March 2025

Editor in chief:
Asia Yahya Khousrof

Editing manager:
Mohammed M. Ibrahim

Translator:
Eman Mohammed Abdullah

Proof Reader:
Najeeb S. A. Azzubairy

Photographing:
Abdul Rahman Al-Ghabri
Mostafa Abdel Majeed
Youssef Jabal
Jamal Shaniter
Mohammed Al-Wajeeh

Designing & Production:
Fuoad Almessbahi
00967 777 089 092

Magazine Accounts:
Majid Said

Monitoring and Inspection of the Magazine:
Muhammad Dalal

Manager of Magazine Marketing:
Nabil Ahmed Alsamei
Mobile:**00967 775 300 030**
Or **00967 734 444 425**

Magazine Address:
Yemen Airways Headquarters
Sana›a -Yemen Republic.
Mailbox: (1183)
Tel:009671 250 710
magazine@yemenia.com
Site:www.yemenia.com

Printing:
Nahda Printing Press
Amman, Jordan

All essays written in this magazine express the personal opinions of the writers themselves not the opinions of the company, Yemen Airways.

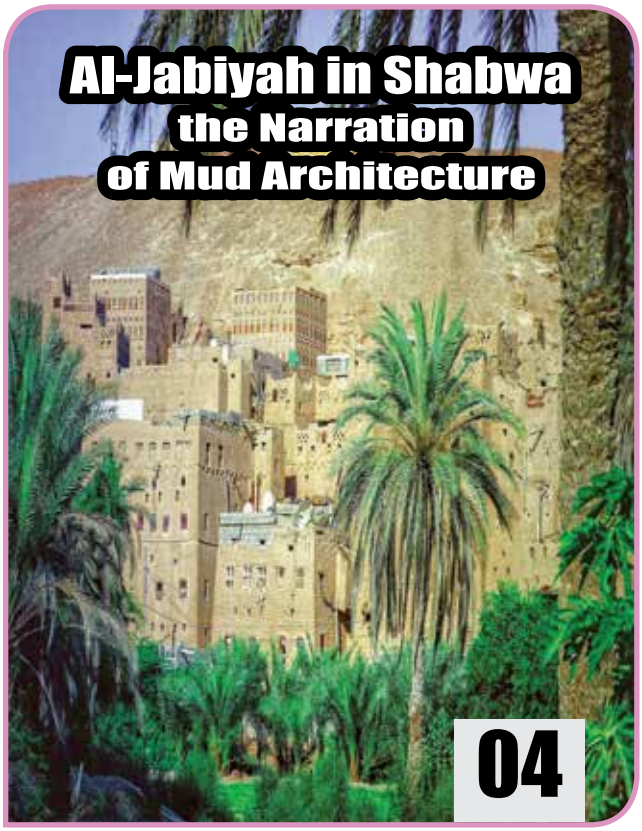

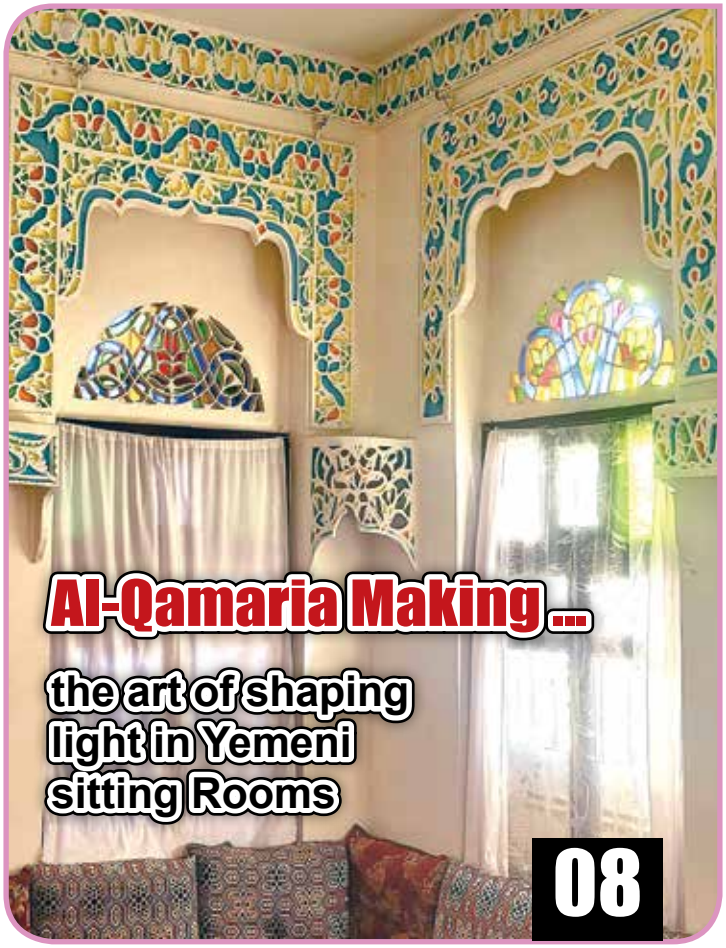

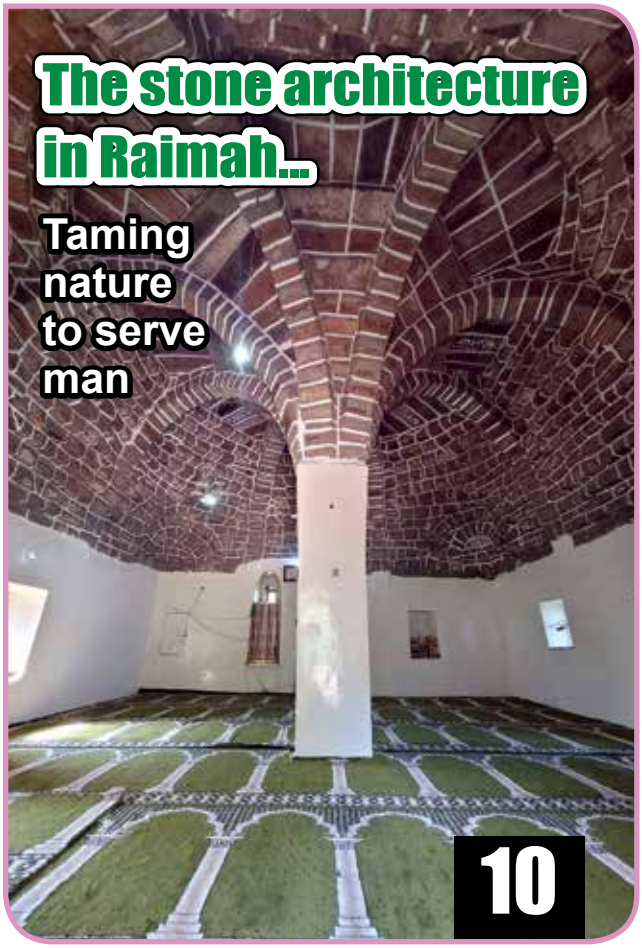

As you travel the world,
know that we're building a better one

RSA

بينما تمضي في رحلتك

نواصل رحلتنا لبناء عالم أفضل

Yemenia

Al-Jabiyah in Shabwa
the Narration of Mud Architecture

The stone architecture in Raimah...

Al-Qamaria Making ...

the art of shaping light in Yemeni sitting Rooms

Complimentary Copy